بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية محكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج ٩، ع ٣، ٢٠٠٦

ⓒ حقوق الطبع والنشر محفوظة ، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو اختزانه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بإذن كتابى من الناشر .

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٥ فاكس ٧٩٥٤٣٤٠

المحتويات

البحوث	الصفحة
البنية الدلالية والإحالية للضمائر د. أشرف عبد البديع عبد الكريم	٩
تخفيف عين الكلمات الثلاثية د. قبارى محمد شحاته	١٣٩
علم الدلالة د. عبد الكريم محمد حسن جبل	١٨٩
مصطلح المعنى فى كتاب سيبويه د. صبحى إبراهيم الفقى	٢٦٥
دلالة السمات شبه اللغوية (المصاحبة لأداء الكلام فى عملية التواصل) د. عبد المنعم السيد أحمد جدامى	٣١٣

دلالة السمات شبه اللغوية
المصاحبة للأداء الكلامى فى عملية التواصل
(دراسة تطبيقية)
على بعض من روايات الأستاذ/ نجيب محفوظ
(ملحمة الحرافيش. السكرية. الشحاذ)

د. عبد المنعم السيد أحمد جدامى

أقصد بالسمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامى، أنها ليست السمات اللغوية الحقيقية، وهذه السمات شبه اللغوية Paralinguistic Features تتمثل فيما يلى:

١ ـ السمات البروسودية الصوتية المصاحبة للكلام، مثل: النبر، والتنغيم، والسكتات الكلامية Pauses، وكذلك معدل الأداء الكلامى، ودرجة الصوت Pitch، ونوعية الصوت Quality of Voice، وقوته Volume.

٢ ـ الأصوات غير الكلامية، وتسمى أيضاً بالفضلات الصوتية Vocal Segregates، مثل: الضحك، والبكاء، والتأوه، والصراخ، والنحنحة، والسعال، والغمغمة، وغير ذلك من الأصوات المصاحبة للأداء الكلامى.

٣ ـ الأصوات غير الإنسانية التى يسمعها الإنسان حوله، مثل: أصوات الحيوانات والجمادات، ومظاهر الطبيعة كصوت البرق، وهطول الأمطار، والآلات المختلفة(١).

---

(١) انظر بالتفصيل كتاب د. كريم ١٩٩٢م، ص ١٧.

هذه السمات سوف نرى أن لها دلالات فى عملية التواصل، فالتواصل Communication داخل أى مجتمع متعدد الأنظمة، فهناك النظام اللغوى، وحركات الجسم وغيرها من الأنظمة التى يشملها التواصل، الذى يقسم إلى قسمين كبيرين هما:

١ ـ التواصل اللغوى Vocal، وهو الذى يحتوى على كل الأحداث المتضمنة فى إنتاج الكلام.

٢ ـ التواصل غير اللغوى non - Vocal، وهو المركب من كل الأنشطة التواصلية غير الكلام، كالإيماءة، وحركات الجسم، والرموز وغيرها(٢).

وما يركز بحثى عليه هو السمات شبه اللغوية المصاحبة للنوع الأول من السلوك أو التواصل، وقد وجدت فى بعض روايات الأستاذ نجيب محفوظ مادة لغوية يصفها كتابة فى رواياته من هذا النوع من السمات، سوف أقوم بتحليلها فى هذا البحث، والروايات التى أخذت منها مادة بحثى هذا هى روايات (ملحمة الحرافيش، والسكرية، والشحاذ).

أما الدراسات السابقة فى هذا المجال، ففى حدود علمى هناك دراستان، أولهما: دراسة رائدة فى اللغة العربية وهى دراسة أ.د. كريم زكى حسام الدين: الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره فى التواصل، طبع بمكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٩٢م، وفيه قدّم د. كريم دور الدلالة الصوتية وأثرها فى عملية التواصل للقارىء العربى، اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب:

---

(2) Lavers, J, and Hutcheson. s. 1972, P. 12.

ونشير أنهما يرفضان المصطلحين non-Verbal, Verbal ١.

الأول: بعنوان: الصوت والسمع والكلام، وهو فصلان، الأول هو: الصوت الظاهرة ومفهومها، والثانى: السمع والكلام.

أما الباب الثانى: وهو بعنوان: الصوت: الكلام والدلالة، وهو فصلان، أولهما: الصوت الأداء والدلالة، وثانيهما: الصوت وسمات الأداء فى العربية.

أما الباب الثالث: فهو بعنوان: الصوت اللغة والدلالة، وهو مكون من فصلين، الأول بعنوان: الدلالة والتباين الصوتى، والثانى بعنوان: الدلالة والتحبير الصوتى.

أما الدراسة الثانية فهى دراسة أ. د. أحمد عارف حجازى: دراسات لغوية فى الحديث الشريف، طبعة دار حراء بالمنيا، سنة ١٩٩٤م، بحث فى الفصل السادس منه دلالة الضحك، وفى الفصل السابع تحدث عن الدلالة السلبية فى الحديث الشريف، وخصّ منها الصمت الذى ذكر دلالته فى الحديث الشريف.

وتوجد دراسة أ. د. محمد العبد: العبارة والإشارة، دراسة فى نظرية الاتصال، توزيع دار الفكر العربى بالقاهرة، سنة ١٩٩٥م، قدّم فيه المؤلف مفهوم الاتصال وأنواعه، وركز على الاتصال غير اللفظى.

ومن هنا فمادة بحثى روايات نجيب محفوظ لم تبحث كموضوع لدلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامى وأثرها فى عملية التواصل.

ويشتمل بحثى على عدد من العناصر هى كالآتى:

أولاً: الدراسة النظرية، وتشتمل على عرض للسمات شبه اللغوية فى الدراسات الغربية، وعرض لاهتمام التراث العربى ببعض هذه الملامح الصوتية.

ثانـــياً: الدراسة التطبيقية ، وتشتمل على توضيح للأثر الدلالي للسمات شبه اللغوية في عملية التواصل من خلال مادة البحث.

أولاً: الدراسة النظرية:

ارتبطت نشأة البحث في السمات شبه اللغوية ودورها في عملية التواصل بأربع أنواع من الدراسات هي كالآتي:

١- الدراســـات الثقافية، والتي تطورت من خلال علماء الأنثربولوجيا اللغوية الذين درسوا ثقافة الشعوب والتواصل فيها، وأنواع التواصل، وسوف نرى من خلال الدراســـة الـــنظرية في هذا البحث أثر بعض اللغويين الأنثروبولوجيين، أمثال: سابير وهايمز وتريجر في دراسة هذه الظاهرة في التواصل.

٢- ترتبط أيضاً بالدراسات السيمولوجية، حيث تشغل العلامة اللغوية والعلامة غير اللغويـــة مكاناً في السيمولوجيا، فالعلامة غير اللغوية والتي تغطي مجموعاً من المظاهر الدالة على حركات الجسم والإيماءات والسمات شبه اللغوية، وكل ما هـــو اتصـــال خارج اللغة، كل هذا يدخل في إطار الدراسات السيمولوجية[١]. ولعـــل قـــول أحد رواد هذا العلم الآن وهو الإيطالي إمبرتو إيكو **U. Eco** عن علاقة التواصل بالعلامات، حيث يذكر أن دراستهم تشمل كل العمليات الثقافية كعملـــيات التواصـــل، فهـــذه العملـــيات من وجهة نظره تبدو كلها تحت نظام العلامات [٢].

٣- ترتبط أيضاً بالدراسات الصوتية، وبخاصة عند مدرسة لندن، فيرث **J.R.Firth** وتلاميذه الذين أسسوا نظرية التحليل البروسودي **Prosodic Analysis** ، والتي هدفهـــا تسجيل السياقات الصوتية العامة، وأنواعها، وتوضيح الملامح الصوتية الخاصـــة بالنـــبر والنغم، وقد خرج من هذه المدرسة الإنجليزية باحثون اهتموا بدراســـة السمات شبه اللغوية ، أمثال: **Laver** ، وكريستل، وغيرهما، وسوف نوضح هذا بعد قليل.

---

(1) C. Maury – Rouan 1993, P. 103.

(2) U. Eco 1976, P.8.

٤- ترتبط أيضاً بدراسات المعنى في مدرسة لندن عند فيرث وتلاميذه، الذين بلوروا نظـرية للمعـنى متأثرة بفكرة السياق عند الأنثربولوجي الشهير مالينوفيسكي، ونظـرية فـيرث للمعنى تقرر أن المعنى يخرج من سياق الحال **Context of Sitiuation** ، وسوف نوضح ذلك بعد قليل.

ومـن هذا كله ارتبطت وخرجت دراسة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامـي **Paralinguistic** ، علمـاً بـأن هذه الظاهرة مرتبطة بالتواصل ككل - كما ذكرت- وهذا بأنواعه مرتبط بالثقافة ، وسوف أوضح ذلك في السطور التالية.

إن العلاقـة بيـن الثقافة والتواصل علاقة قوية، وفي توضيح مفهوم كل منهما تتضـح هذه العلاقة القوية . تعرف الثقافة بأنها " كل مخططات الحياة التي أنتجت عبر الـتاريخ، بمـا في ذلك المخططات الضمنية والصريحة، والعقلية، وغير العقلية، وهي مرشـد في أي وقت لسلوك الإنسان "[١]، فثقافة أي مجتمع تحتوي على أي شيء، من مـثل مـاذا يعرف، أو يعتقد لكي يعمل في سلوك متعارف عليه بين أعضاء المجتمع، والثقافة كائنة فيما يتعلمه الإنسان باعتبار أنه مميز من خلال ميراثه البيولوجي، والثقافة ليسـت إلا عملـية تنظـيم للأفكار والمعتقدات والمشاعر، وصيغ للأفكار التي يمتلكها الإنسان في عقله [٢].

ومـن هـنا فالـثقافة تلعـب دوراً هو الأهم في تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميزة، فهي تولد الروابط بين أعضاء مجتمعها، وتساهم في طريقة التفكـير والشعور والسلوك المشترك، كما أنها تساهم من ناحية أخرى بطريقة تواصلية رمزية في إثبات هذه الوشائج.

الثقافة نظام موروث من الأفكار المكونة من الخبرات الذاتية للأفراد، وباعتبارها طـريقة مشـتركة للحياة يساهم في ذلك المستوى المادي والمستوى المعرفي [اللغة - الرموز] ، ومنهما نعرف أن الثقافة مشاركة [٣].

---

(1) Kluckhon, c and Kelly, W, 1945, P. 77.

(2) Goodenough, W.H. 1964, P. 36-37.

(3) Haslett, B, 1989, P.20.

يترادف في لغتنا مصطلحا الثقافة والحضارة، فنجد البعض يستعمل الحضارة بالدلالة نفسها الموجودة كـترجمة للمصـطلح الإنجليزي [Culture]، ونلحظ هذا في مقال د. أحمد أبي زيد: حضارة=

أما التواصل فهو تنظيم وتقييس لنظام ثقافي منمط من السلوك الذي يبقى ويضبط ويصنع العلاقات الإنسانية الممكنة [١].

ومـــن هنا نلحظ العلاقات المكملة بين التواصل والثقافة، فالبشر يكتسبون الثقافة والتواصل معاً، فلا توجد واحدة دون الأخرى، الثقافة مشاركة، وطريق للحياة مرضي عـــنها مـــن قِـــبَل المشـــاركين، والمشاركة والرضا يصنعان فقط من خلال التواصل، ويتواصـــل الإنسان في وسط ثقافي يُشيِّد صيغة وطبيعة التواصل، ومن هنا يسأل الفرد عـــن التأثيرات الثقافة في اكتساب الثقافة، فإنه يحتاج إلى معرفة أن الثقافة تبني كل من ماذا اكتسب، وكيف اكتسب، فمن خلال العمليات التواصلية تتحول الثقافة من جيل إلى جيل، ذلك أن كل ثقافة تفكير تحتي، وقيمة جماعية عرفية في نفسها [٢].

فطـــرق التفكـــير والشـــعور والسلوك المشترك داخل أية ثقافة، كل هذا رموز للاتصال والمشاركة بين أفراد المجتمع، وهي شكل رمزي أو إشاري مشترك بين أفراد المجـــتمع، وبفضل هذا السلوك وبه يستطيع هؤلاء الأفراد التواصل والتفاعل فيشعرون بأنهم يكوِّنون كياناً مميزاً يسمى مجتمعاً [٣].

=اللغـــة، المنشورة سنة ١٩٧١م، بمجلة عالم الفكر الكويتية، ولكن نلحظ أنه في السنوات الأخيرة قـــد اســـتقرت ترجمة المصطلح الإنجليزي بمصطلح الثقافة، ونلحظ هذا في استخدامات اللغويين، ومـــنهم: د. كمال بشر في مقاله: اللغة والثقافة ، المنشور في سنة ١٩٩١م، وكذلك د. كريم حسام الديـــن فـــي كـــتابه: اللغة والثقافة. وهناك من العرب من يرى علاقات قوية بين مفهوم الحضارة ومفهـــوم الثقافة، وإن اختلفا استعمالاً في اللغات الأوروبية، حول هذا انظر: مقال د. معن زيادة: بين الثقافة والحضارة، المنشور سنة ١٩٨٦م بمجلة الأبحاث .

([1]) Ibid, P. 20.

وقد جمع د. محمد العبد عدداً من التعريفات الخاصة بالتواصل [أو الاتصال حسب تعبير د. محمـــد]، مـــن هـــذه التعريفات أنه نقل المعلومات بين الأفراد نقلاً مقيداً بقناة محددة. وكذلك هو نظم صناعة الأخبار بواسطة العلامات، وهناك تعريف آخر ينقله هو أنه المؤشر على إحداث استجابة.

ويلاحـــظ د. العـــبد أن وظيفة الاتصال ليست دائماً نقل المعلومة أو صناعة الخبر – كما قال أحـــد التعريفات – فربما اقتصرت وظيفة الاتصال على عمل جو من المؤالفة الاجتماعية. انظر: كتاب د. العبد ١٩٩٥م ، ص ١٣ .

([2]) Ibid, P. 20.

([٣]) د. كريم حسام الدين ٢٠٠١م ، ص ٦٠ .

ومـــن هنا العلاقة قوية بين التواصل والثقافة داخل أي مجتمع، الثقافة باعتبارها كـــيان مرمـــز، والتواصل هو الترميز، وأي عضو في المجتمع يكتسب الاثنين معاً ، فالـــثقافة[1] والتواصل يكونان معاً في إطار المجتمع الواحد يكتسبان معاً، ويستخدمهما المجـــتمع معـــاً، ولعـــل توضيح موجز لنظريات الثقافة يبين لنا أشياء مهمة في إطار التواصل داخل المجتمع.

تلخص نظريات الثقافة في :

[١] الثقافة تميز فطري، على اعتبار أن الرؤية الكلية للثقافة تعلم وتحول وتنقل من جيل إلـــى آخر من خلال الأحداث الإنسانية، ومن التفاعل وجهاً لوجه، وبالطبع من خلال التواصل الإنساني، وهذه الرؤية للثقافة تشير إلى توضيح أن أي طفل من غـــير اعتبار للوراثة الجينية سوف ينمو ويحاول اكتساب النماذج الثقافية للبشر الذين يتواصلون معه [2].

[٢] الـــثقافة معـــرفة، ولمـــا كانـــت الثقافة متعلقة فمن هنا فإنها يمكن أن تكون تفكير بمصطلحات لمعرفة العالم، هذا الفعل لا يشير فقط إلى أعضاء ثقافة ما يجب أن يعـــرفوا وقـــائع أو تكون صالحة لإدراك الموضوعات والأماكن والبشر. تشير أيضاً إلى أنهم يجب أن يتشاركوا في نماذج التفكير وطرق فهم العالم [3].

[٣] الـــثقافة كتواصـــل[4]، ولمّا نقول إن الثقافة تواصل نشير إلى أن رؤيتها كنظام من العلامـــات، هـــذه هي النظرية العلامتية **Semiotic** للثقافة، هذه الرؤية تعتقد أن

---

(1) يشـــير اللغـــوي الأمريكي يوجين نيدا E.Nida إلى تقسيمات الثقافة، وسوف أنقل التعريف الذي أورده للـــثقافة أولاً، حيث يقول بأن : " الثقافة تشمل الموسيقى والفن والعادات الحميدة، وهذا ليس تعـــريف الأنثربولوجييـــن للـــثقافة ، فعندهم هي كل السلوك المتعلم المكتسب من المجتمع المادية وغـــير المادية المنتقلة من جيل إلى جيل آخر، ثم يقسم الثقافة إلى ثقافة مادية، واجتماعية، ودينية، ولغويـــة، كمـــا أن الثقافة طريقة للسلوك، للتفكير والتفاعل، لكننا لا نرى الثقافة، إننا نرى مظاهر الـــثقافة وبخاصـــة الموضوعات – التي يصنعها أو يستخدمها الإنسان ، والأحداث التي يفعلها أو يقولها الإنسان . انظر: E.Nida, 1954, P. 28-29.

(2) A, Duranti, 1997, P.24.

(3) I bid, P. 27.

(4) مـــن الذيـــن يناصرون ويأخذون بهذه النظرة للثقافة الأمريكي هول E. Hall ؛ ذلك لأنه يرى أن كـــلاً من نظرية الثقافة ونظرية كيف تنشأ الثقافة خارج اهتمام كتابه، وأن كتابه يعالج الثقافة في-

الـثقافة إعادة تمثيل العالم، فهي طريقة لجعل إدراك الحقيقة من خلال تشكيلها بقصـص وأساطير ، وأوصاف، ونظريات، وأمثال، وإنتاج فني والمسرحيات، بوجهـة الـنظر هذه المنتج الثقافي البشري، مثلاً: الأساطير والقوس تصنيفات للعالم الطبيعي والاجتماعي [١].

يشـير إلـى أن هناك نظريات ترى الثقافة نظاماً من التوسط، على اعتبار أن الاستعمال العام للغة ما يأخذ مكانة في المستوى نفسه كاستعمال عام لكل الأهداف التي تطوقها في المجتمع[٢]. وترى على اعتبارها نظاماً من الممارسة[٣]، وكذلك كنظام من المشاركة [٤].

ومـن هـذه النظريات نرى أن الثقافة بكل النظريات القائمة حولها تؤكد أنها لا توجد إلا من خلال مجتمع بشري يصنعها، وهي نظام ممارس. كذلك فإن الإنسان داخل المجتمع يصنع ثقافته، ومن هنا أيضاً فهو قادر على الترميز، كما أن الثقافة والتواصل كل متحدد داخل المجتمع.

كما نشير إلى أن كل مجتمع تتجدد ثقافته بالاحتكاك مع الثقافات الأخرى، وأيضاً مـع الأحـداث التي تطرأ على المجتمع ويتبع ذلك راصداً التغيرات الثقافية العلامات، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية [٥].

=مجموعهـا كصـيغة للتواصل. انظر: E. Hall, 1959, P. 51 ، كما أن هول يجعل عنوان الفصل الخامس من كتابه هذا بعنوان [الثقافة تواصل] يفحص فيه الثقافة على اعتبارها تواصل. انظر: E.Hall, 1959, P.119-126 .

([1]) A. Duranti, 1997, P.33.

([2]) I bid, P.39.

([3]) I bid, P. 43.

([4]) I bid, P.46.

([٥]) لعـل مـن هذا القبيل ما يذكره لوتمان وأوسبنسكي من توجهات بطرس الأكبر ١٦٧٢ – ١٧٢٥م فـي روسيا معادلة إلى درجة كبيرة لمواجهة الطقوس والرموز القديمة التي عبّر عنها بالمواجهة بخلق علامات جديدة، فعلى سبيل المثال أصبح حلق اللحية إلزامياً بعد أن كان إطلاقها أصلاً، كما أصـبح ارتـداء الملابس على النمط العربي أساسياً بعد أن كان ارتداء الملابس الروسية التقليدية أصـلاً. انظـر: مقـال لوتمان وأوسبنسكي، ترجمة د. عبد المنعم تليمة، المنشور في كتاب من إشراف د.. سيزا قاسم، د. نصر أبو زيد ١٩٨٦م، ص ٢٩٦، ويشير س. أ. ورم إلى أن التغير=

وتتـــنوع أنظمة التواصل إلى لغوية وغير لغوية، واللغوية التي يكون التواصل مـــن خـــلال اللغـــة، أمـــا التواصل غير اللغوي فيكون من خلال الإشارات الجسمية Gestures ، وحـــركات الجســـم وأوضـــاعه، وكذلك التواصل عن طريق اللمس والشم والـــذوق، وهناك التواصل البصري عن طريق الخط والكتاب والرسم والنحت، وهناك التواصل السمعي ويتمثل إلى جانب الكلام في الموسيقى والغناء [1].

وهناك تواصل عن طريق الأنظمة الدلالية الأداتية التي تعتمد على أشياء خارجة عن جسم الإنسان، وتتمثل في:

١- الأشـــياء التي يستعملها الإنسان، مثل: الملابس، والحلي، وبعض الأدوات التي تستعملها المجتمعات في أغراض مختلفة تحمل دلالات مختلفة، مثل: المنديل، والمسبحة، والعصا، والسيف، وغير ذلك .

٢- المؤسســـات، ويعنـــي هنا نظاماً محدداً من سلوك الجماعة تتواصل من خلاله ويخضـــع للتواضع والاتفاق، ويعد جزءاً أساسياً من ثقافة الجماعة، ومن ذلك نظام القرابة، ونظام الدين، ونظام الاقتصاد [2].

ومـــن هـــنا نلاحظ تعدد أنظمة التواصل داخل المجتمع، فإذا كان الإنسان قادراً دون غيره من الحيوانات أن يتكلم ويصنع بنظام اللغة العالم الذي يعيش فيه، فإنه يصنع هـــذا العالم أيضاً بأنظمة اجتماعية أخرى تحمل دلالات ومضامين مختلفة ترمز وتشير وتؤدي وظائف مثل اللغة، ومن هنا يمكن أن نقول بدلاً من تعريف أرسطو القائل : إن الإنسان حيوان ناطق، نقول: إن الإنسان حيوان متواصل؛ ذلك لأنه يصنع أنظمة أخرى

-في الثقافة يؤثر على اللغة، ويؤدي إلى انقراض اللغات في أحيان كثيرة، ومن ذلك ما يشير إليه ورم مـــن أن ضـــغط الـــثقافة الأوربية الدخيلة على لغات السكان الأصليين في أستراليا أدى إلى القضـــاء علـــى الثقافة التقليدية للمتكلمين بهذه اللغات، فحلت محلها صورة من الثقافة الأوربية لم تســـتوعبها أفهـــام هـــؤلاء القـــوم في أغلب الأحيان، وكانت النتيجة أن أصبحت المفاهيم القومية التقلـــيدية المعقـــدة أمـــراً لا ضرورة له بعد انقراض الثقافة التقليدية بكل مفاهيمها. انظر: ترجمة مقـــال ورم S.A.Wurm " تغـــير اللغـــات نتـــيجة لتغير الثقافة وانقراضها، ترجمة أمين محمود الشريف بمجلة ديوجين، العدد رقم ٨١ ، ص ٤٣ .

(١) د. كريم حسام الدين، ١٩٩١م، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٢) السابق: ص ٢٨، وانظر: كتاب برنارتوسان، ٢٠٠٠م، ص ٢١ – ٣٣ .

مع اللغة هي سلوك له داخل المجتمع تخضع للمواضعة مثل اللغة، كما أنها هذه الأنظمة جميعاً تؤدي وظيفة واحدة هي التواصل[1].

وأشير في الصفحات التالية إلى مولد فكرة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي **Paralanguage** وأثرها الدلالي في عملية التواصل، وأقرر هنا أنها ولدت كما سيتضح من خلال البحث الأنثربولوجي اللغوي في أمريكا، ومن خلال مدرسة فيرث الإنجليزية المتأثرة برؤى مالينوفسكي الأنثربولوجي، وتطورت هذه الأفكار لدى الباحثين في أثنوجرافيا التواصل وبخاصة عند اللغوي الأمريكي الكبير ديل هايمز **D. Hymes** وتابعيه .

من أوائل الذين أسسوا لهذه السمات اللغوي الأمريكي إدوارد سابير سنة ١٩٢٧م في مقالة بعنوان [الكلام كسمة شخصية **Speech as a personality trait**] [2] فيه يميز سابير بين الصوت والكلام، فالصوت هو حركة تعبيرية **Expressive Movement** ، كما أنه ملفوظ شخصي مركب من عوامل معقدة مثل: درجة الصوت **Pitch** ، والإيقاع **Rhythm** ، وحدة الصوت **Intensity** ، والتضخيم **Inflection** ، وجهارة الصوت **Volume** ، والتأنق الصوتي **Vocal Mannerisms** ، فالصوت باختصار الصيغة الظاهرة للتعبير الصوتي، أما الكلام فبوجهة نظر أخرى محتواه هو الموضوع الرئيس للنص، يشتمل على المفردات المستعملة، اللغة أو اللهجة المتكلمة، البناء النحوي للجمل وطريقة التركيب، من كل هذا تتكون خصوصية الكلام [3] .. ومن خلال مقاله نخلص إلى أننا نعيش في كل يوم ونحكم على أي شخص من خلال ما قاله، ومن خلال انتسابه الثقافي، ومن خلال الملامح الصوتية الشخصية[4].

---

(1) د. كريم حسام الدين، ١٩٩١م ، ص ٢٩، نشير إلى أن عملية تواصل البشر داخل المجتمع يمثل التواصل اللغوي ٤٠% من عملية التواصل، أما التواصل غير اللغوي فيمثل ٦٠% من حجم عملية التواصل، ومن هنا نعرف أهمية التواصل الإنساني، والدور المهم للتواصل غير اللغوي في الحياة الإنسانية، وكذلك الارتباط الوثيق بين التواصل اللغوي والتواصل غير اللغوي، ونعرف كذلك تعدد قنوات التواصل. انظر: كتاب د. كريم السابق، ص ٣٠ .

(2) طبع هذا البحث سنة ١٩٢٧م ، ثم طبع مرة أخرى في كتاب محرر من قبل اللغويين J.Laver and S.H. Hutcheson ، وطبع في سلسلة Penguin Books في سنة ١٩٧٢م ، وهي التي اعتمدت عليها .

(3) E. Sapir, 1927 = 1972, P. 71-72.

(4) انظر توضيحات أكثر عن رؤية سابير في المقال التالي : G.W. Allport and H.Cantril, 1972, P. 156.

كما أن سابير يشير إلى أنه من خلال الإنسان تنقل تعبيرات، لكن نادراً ما نقف لتحليل هذه الظاهرة من السلوك، فهناك عدد من الأنواع المختلفة من الصوت، ويقول إنه في أساسيات صوت الإنسان يمكن استشفاف معاني كثيرة عنه، يمكن استشفاف أنه عاطفي أو قاس [١]. كما يقرر أن الصوت مميز أكثر لعدد عظيم من الاختلافات السلوكية التي يضفرها مع الصوت ويعطيها نوعيتها الديناميكية، ثم يتكلم سابير على ما أسماه ديناميكيات الصوت **Voice Dynamics** ، ومنه التنغيم الذي يراه حقلاً مهماً جداً لاكتشافات كل من اللغوي وعالم النفس، ويزعم أن هناك تنغيماً شخصياً **Individual Intonation** يراه مهماً باعتباره عنصراً اجتماعياً، وكجزء من الاختلافات الشخصية[٢].

الخلاصة أن الأستاذ سابير[٣] حاول لفت الأنظار إلى أن الكلام عندما ينطق فهو يحمل في طيّاته تواصلاً صوتياً من خلال كل السمات التي ذكرها لتحمل مضامين تستحق أن تدرس.

ويأتي بعد سابير اللغوي الأنثربولوجي الأمريكي تريجر **G. Trager** ، الذي يؤكد أن الكل يدرك أن التواصل أكثر من اللغة، ذلك أن اللغة في أدائها مصاحبة بأنظمة تواصلية أخرى، واحدة منها الحركات الجسمية، وأخرى ما يسمى بالأصوات والضوضاء فوق اللغوية **Extralinguistic Nouses - Vocalization** [٤].

كما أن تريجر يرى أن كل ثقافة هي تفاعل قائم على التواصل، وأن التواصل هو نتيجة مركبة من كل أنظمة التواصل التي تحدث في مركب ثقافي كلي، وأن اللغة توصف هنا – عنده – على أنها نظام ثقافي يستخدم عدداً من الضوضائيات الناتجة من خلال الأحبال الصوتية[٥] .

---

(1) E. Sapir, 1972, P. 75.

(2) I bid, P. 76.

(٣) يشير الأنثربولوجي الأمريكي بيردوسل إلى أن السمات الخاصة بما يسمى Paralanguage بدأت بعدد من الكتب في القرن التاسع عشر إلا أنه يذكر أن أهم من كتب في هذا المجال هو إدوارد سابير. انظر عرضاً قوياً لتاريخ البحث في هذه الظاهرة في البحث التالي : Birdwhistell, 1972, P.82-99. .

(4) G. Trager, 1964, P 275.

(5) I bid, P. 275.

هذه الرؤية للغة مهمة في تصور تريجر الكامل للتواصل؛ ذلك لأنه يرى عندما نستعمل اللغة فإنها تأخذ مكاناً كحدث الكلام، فالكلام يحدث نتيجة للأنشطة التي تصنع كخلفية تنقل صوتياً، هذه الخلفية – في تصور تريجر – تشمل التشريح الخاص بالمتكلمين والناقل الفيزيائي الكلي . هذا في المنطقة التي أسماها **Perlinguistics** ، ومقابل هذه الخلفية يوجد ثلاثة أنواع من الأحداث المستخدمة في الجهاز الصوتي ، اللغة كما وصفت، أما النوع الثاني فهو الضوضائيات الأخرى المتنوعة التي ليست من بنية اللغة، والتي يسميها التصويب، أما النوع الثالث فهو التكييفات لكل من الضوضائيات **noises** الأخرى والتي يسميها نوعيات الصوت **Voice Qualities** . هذان النوعان الأخيران – عملية التصويت – ونوعيات الصوت معاً يسميهما بالمصطلح **Paralanguage** [1]، بمعنى السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي [2].

وتأخذ هذه الظاهرة مكانها من البحث في المدرسة الإنجليزية، والتي يتمركز تفردها عن غيرها من المدارس اللغوية بعنصرين مهمين منتجين من هذه المدرسة الإنجليزية وهما ما تسميه هذه المدرسة بالتحليل البروسودي[3] للأصوات، والثاني هو ما أسماه رائدهم فيرث بسياق الحال **Context of Situation** ، وهذان العنصران مهمان في تحليل الظاهرة التي بين أيدينا الآن، وأبدأ بتحليل رؤيتهم للعنصر الأول.

---

(1) I bid, P. 276.

(2) توجد دراسات لهذه المفاهيم مطبقة على بعض الثقافات، ومنها دراسة ماري هاس M.R.Haas التي وجدت عدداً من الاختلافات بين كلام الرجل وكلام المرأة في لغة Koasati في جنوب غرب Louisiana ، فنطق المرأة يتسم بالسهولة والبطء والنعومة، وللمزيد انظر بحثها M.R. Hass, 1964, P. 229.

(3) ارتضينا اقتراض هذا المصطلح وتعريبه كما فعل د. أحمد مختار عمر – رحمه الله – في كتابه [دراسة الصوت اللغوي] . انظر: ص ١٨٦ ، ٢٠١ – ٢٠٢ من كتابه، وذلك بسبب عدم تكافؤ المصطلحات العربية المقترحة وغموضه، حيث اقترح د. محمد علي الخولي مصطلحين، هما: فونيم فوق قطعي، وسمة فوق قطعية، انظر معجمه: معجم علم اللغة النظري. وأشير إلى أن مصطلح Prosody كما. يذكر بالمر أن أول استعمال له بالمعنى العلمي المناسب مع هذه النظرية على يد فيرث، وكان أول من عالج معالجة صريحة لنظرية البروسودي. انظر: إضافات أكثر في بحث بالمر التالي: F.R. Palmer, 1972, P. 181 .

طرحت نظرية التحليل البروسودي من خلال اللغوي الإنجليزي فيرث J.R.Firth [1]، وعززت بتطبيقات لهذا المنهج من خلال تلاميذه ، ومن ثم تطورت هذه النظرية.

ومن خلال فيرث وتلاميذه ليشمل التحليل البروسودي أجزاء الجملة، ويضم بروسودي الجملة [التنغيم] ، وطول الصوت، والنبر، والعلاقات النغمية بين المقاطع، وبروسودي أجزاء المقاطع، مثل: السمات الصوتية النَفَسيّة Aspiration ، والارتدادية Retroflexion ، والانفجارية Plosion ، وغيرهم من الصفات ، والوحدات الصوتية وتقسيماتها المتعددة من خلال مخارجها وصفاتها [2].

---

(1) مرت تحليلات فيرث لنظرية البروسودي بمراحل بدأت بمقالين، أحدهما صدر في سنة ١٩٣٥، والثاني في ١٩٣٦، وتطورت تحليلاته أكثر في مقاله: الأصوات والبروسوديات Sounds and Prosodies ، والذي نشر سنة ١٩٤٨، لكن اللغوي إلى فيشر Eli Fischer يراه غير واضح في هذه الأبحاث، ويرى أن أبحاث تلاميذ فيرث من أمثال روبنز Robins ودينين Dinneen ، وبالمر Palmer زودتنا بمقدمات جيدة عن مدرسة البروسودي، وبعدد من التطبيقات المعتمد للنظرية بلغات مختلفة شرقية وأفريقية. انظر تفاصيل أكثر في بحث فيشر التالي : Eli Fischer -Jorgensen, 1970, P. 60. ، إلا أن رؤية روبنز ترى أن أبحاث فيرث في هذا المجال كان لها أهداف منها السياقات الصوتية العامة وأنواعها، ووصف المقاطع الأحادية، وتوضيح الملامح الصوتية الخاصة بالنغم ودوره كملمح مميز في بعض اللغات، كما يؤكد روبنز أن فيرث في بحثه ١٩٤٨يصرح بتشديده على أن الملامح الصوتية تخرج من السياق ككل، وليس من خلال الأصوات أو المقاطع أو الكلمات – كما كان يتصور دانيل جونز D. Jones أن الملامح الصوتية كلها تؤخذ من خلال الكلمة – ، ففي تصور فيرث الظواهر الصوتية متعلقة بالكلمة والمفصل والجُميلة، والجمل ككل حيث تصاغ الملامح البروسودية. انظر في ذلك :
R.H. Robins, 1973, P. 262 .

(2) R.H. Robins 1973, P. 367.

نشير هنا إلى أن منهج فيرث وتلاميذه يختلف عن المنهج الذي انتهجه الباحثون الأمريكيون في تناولهم هذه الملامح الصوتية، فمن خلال بحث هوكيت 1942 Hockett عن منظومة في علم الأصوات الوصفي، وقد عالج فيه السمات البروسودية من خلال ما أسماه Superementals = فوق التركيبية، وهاريس Z.Harris في بحثه 1944 عن المكونات المباشرة المتزامنة في علم الأصوات، هو أول من عالج ما يسمى بالمكونات الطويلة في التحليل الصوتي الأمريكي، وهناك هوجن E.Haugan, 1949 في بحثه phoneme or prosodeme = وحدة صوتية أو وحدة بروسودية، فإن ما يسمى عند الأمريكيين Superasegmental = فوق التركيبية يسمى عند فيرث بالبروسودي Prosody ، كما أن جوهر البروسودي عند فيرث هو النبر والنغم وطول=

الذي نريده من هذا العرض أن التحليلات البروسودية التي قامت على يد فيرث وتلاميذه قد أفادت في ملاحظة الظاهرة التي نحن بصددها، فعملية التصويت وغيرها من العمليات التابعة للكلام قد لوحظت صوتياً أكثر من خلال هذه المدرسة، وقد أضافت هذه المدرسة عنصراً آخر مهماً في دراسة هذه الظاهرة ثقافياً، ألا وهو سياق الحال Context of Situation [1].

إن فكرة سياق الحال قد أضافها الأنثربولوجي مالينوفسكي، وبها أضاف فكر سياق الحال إلى النظرية اللغوية، وعالج معنى الكلمة بواسطة إرجاعها إلى السياق الثقافي المستخدمة فيه، ووضح علاقة اللغة بالثقافة، وعلم اللغة بالأنثربولوجي[2]،

=المقطع، أما في المنهج الأمريكي فالنبر ودرجة الصوت Pitch وحدات صوتية فوق تركيبية، وطول المقطع خارج إطار النظام الفونيمي عند الأمريكيين.

ويلخص لاينز الفروق بين المنهج الفونولوجي الأمريكي والمنهج البروسودي الإنجليزي في فرقين رئيسين:

الأول: المحلل بالمنهج الفونولوجي الأمريكي ينظم المعطيات الصوتية، بينما البروسودي يصف المعطيات الصوتية فوق سلسلة بخط مستقيم من الوحدات الصوتية القطعية، بينما المحلل بالمنهج البروسودي الإنجليزي يصف المعطيات بمصطلحين مختلفي العناصر ، هما: الوحدات الصوتية Phonemic Units والبروسوديات Prosodies .

الثاني: البروسودي مختلف عن صاحب المنهج الفونولوجي الأمريكي في أنه لا يقيم بياناً مفصلاً عاماً من الوحدات الصوتية للغة، فهو واصف لعدد من الأنظمة الثانوية كل منها متعلق ببنى صوتية مختلفة... هذه الاختلافات ربما تكون ملخصة بقول مفاده : أن النموذج الفونولوجي وحيد البعد Unidimensional ، وأحادي النظام Monosystemic ، أما البروسودي فله بعدان، ومتعدد الأنظمة Polysestemic . انظر بحث لاينز التالي: J. Lyons 1972, P. 230.

(1) يشير فيرث إلى أن مصطلح Situation لم يكن مالينوفسكي أول من استخدمه، وأن الألماني وجنر P. Wegener أول من استخدمه سنة ١٨٨٥م ، ومنه استعاره مالينوفسكي وجاردنر، انظر بحث فيرث J.R. Firth, 1957, P. 177. ، ولكن فكرة السياق هذه فكرة مالينوفسكي، كما يشير جيرمان، انظر حول هذا المصطلح وتاريخه الفصل الأول والثاني من كتاب اللغوي الفرنسي جيرمان التالي: C.German, 1973, P. 9-51. .

(2) انظر بحث فيرث: التحليلات الأثنوجرافية واللغة مع الإشارة إلى رؤية مالينوفسكي، ضمن المقالات التي جمعها بالمر وحررها في كتاب واحد سنة ١٩٦٨م J.R. Firth 1968, P. 137- 167 .

ويشير كلود جيرمان C. German إلى السياق كما استخدمه مالينوفسكي في مقاله مشكلة المعنى جعل السياق اللغوي شاملاً لكل من :

- معرفة البنية العامة للغة .

السياق - المعرفة اللغوية للكلمة .

- المعرفة فوق اللغوية والتي تشمل على : - معرفة سياق الحال .

- المعرفة الاجتماعية والأنثربولوجية [1].

وتطورت فكرة السياق هذه على يد اللغوي فيرث، فأصبح ما يسمى بسياق الحال أساساً لنظرية المعنى، وجزءاً مهماً من نظرية اللغة في هذه المدرسة [2]، فقد أخذ فيرث فكرة السياق من مالينوفسكي وأضاف إليها، حيث اهتم بالخلفية الثقافية للغة، وبنى نظريته اللغوية، وهو القائل بأن كل علم اللغة في دراسة المعنى، والمعنى كائن في وظيفة السياق [3].

ومن هنا فقد كان مفهوم سياق الحال عند الأنثربولوجي مالينوفسكي مصدراً مهماً لنظرية اللغة في مدرسة لندن اللغوية، وبه يضيف إضافة قوية إلى الإحساس بالظاهرة التي نحن بصددها، والتي تعتمد على الفهم الكامل للثقافة المراد تحليل الظاهرة فيها، وأيضاً سياقاتها.

من خلال هذين العنصرين المهمين في المدرسة اللغوية الإنجليزية بدأ اللغويون في ملاحظة ودراسة الظاهرة المسماة **Paralanguage** ، وفي الصفحات التالية عرض موجز لبعض الدراسات لهذه الظاهرة.

---

(1) C. German, 1972, P. 123.

(2) R.H. Robins, 1971, P. 33.

وفي بحث روبنز هذا والمعنون بقوله : مالينوفسكي ، فيرث وسياق الحال يرى أن النقاط الأساسية لنظرية السياق عند مالينوفسكي في الآتي: أن النظرة القديمة للغة على أنها أداة للفكر ، هذا التعريف عديم القيمة تماماً، فاللغة حسب مالينوفسكي سلوك فعال مثل باقي الأنشطة الاجتماعية الأخرى، وليست وعاءً للفكر، كما أضافت نظريته أن الكلام لا يفهم من خلال عملية التصويت فقط، بل السياق اللغوي يساهم في هذا من خلال التاريخ والوضع النفسي لكل من المتكلم والمخاطب، انظر بحث روبنز السابق الذكر P. 34-35 .

(3) M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan, 1986, P. 8.

مـــن أهم الذين درسوا هذه الظاهرة عالم اللغة الإنجليزي ديفيد إبركرومبي، وقد أفاض في توضيح وتفسير هذه الظاهرة في كتابه الذي ترجمه إلى العربية د. محمد فتيح – رحمـــه الله – : مبادئ علم الأصوات العام، في هذا الكتاب يوضح في الفصل الأول اللغـــة وعلاقـــتها بالوســـط، فيشير إلى أن اللغة تنقل بوسطين إما منطوقة أو مكتوبة، المنطوق والمكتوب ينتميان إلى اللغة نفسها، لكن يتضمنان في وسطين مختلفين، يتركب أحدهما من أشكال [المكتوب] ، والآخر من ألوان من الضوضاء [المنطوق] (١).

ومن هنا فمن الممكن للغة نفسها أن تنقل عن طريق وسطين مختلفين، ويواصل كلامه قائلاً : " إن ما نفعله عند تمييز اللغة من الوسط هو الفصل بين النموذج وتجسيده المـــادي المستقل عنه بمعنى ما، فيمكننا أن نقول: اللغة شكل وقالب في حين أن الوسط مادة " (٢).

كما يشير إبركرومبي إلى أن للوسط بالإضافة إلى ماله من خاصة تتعلق بإمكان تشـــكيل النماذج القادرة على حمل اللغة، فإن الوسط له خواصه الذاتية المستقلة أيضاً، فالأوساط – حسب إبركرومبي – لا يبتكرها النشاط الإنساني فقط، بل تترك أيضاً على الكلمـــة المكـــتوبة والمنطوقة طابع الشخصية التي خلقتها، فمعظم ما يؤسس من نشاط بشـــري يظهر بشكل غير مباشر أموراً كالحالة النفسية والمركز الاجتماعي والأصول الجغرافية، وهلم جرا .

و " للوسط اللغوي خاصية صنع هذا؛ فهو ليس لغة في نفسه، بل مركباً للغة .. ، فضـــمن وجـــوه الوسط المستحقة للبحث على سبيل المثال الطريقة التي ينظم بها في نمـــاذج لـــيقوم بوظـــيفة حامل اللغة، وخصائصه المادية والجمالية، وعلاقته بالأوساط الأخـــرى وباللغـــة التي يحمل، ونوع الحركات الجسدية التي يتضمنها إنتاجه، والمدى الـــذي يذهب إليه في قيامه بدور الدلالة على خصائص الشخص الذي يحقق الحركات الناتجة " (٣).

---

(١) ديفيد إبركرومبي ١٩٨٨م، ص ٧ .

(٢) السابق ص ٩ .

(٣) السابق ص ٨ .

كمـــا يشـــير إلى أن كل الأوساط تشترك في شيء واحد، وهو أنها تتوسط بين منتج اللغة ومستقبلها، ولهذا يرتبط بكل منها نوعان من النشاط الإنساني : النشاط المنتج الذي ينشأ عنه الوسط، والنشاط المستقبل الذي به يُدرك [١].

ثـــم يفصـــل خصـــائص الوســـط : ويسميها الخصائص الإشارية[٢] **Indexical Properties** مقرراً أن أهم ما يمتلكه الوسط من خصائص هو إمكان تشكيله من نماذج، فـــي المكان أو الزمان، معقدة ومتنوعة بصورة تكفي لحمل اللغة، كما يقرر أن الوسط لـــيس موضـــوعاً ماديـــاً أوجـــده نشاط إنساني، رائياً أنه ينجم عن هذه الحقيقة بعض خصـــائص الوســـط فـــوق اللغوية الأعظم إثارة، التي تستطيع أن تقوم بدور مؤثر في التواصـــل الإنساني، قائلاً : " إننا عندما نقابل قوماً لأول مرة ينبني ما نكونه من آراء حولهـــم إلـــى حد كبير جداً على ألوان الحركات التي يصنعونها حين يتكلمون ويأكلون ويستخدمون الإشارة للتعبير ... إننا نفسر طرقهم الاعتيادية المألوفة في صنع الحركات علـــى أنهـــا مفاتـــيح لنوع الجماعة البشرية التي يمثلونها .. وما يفعله الناس من ألوان الحركات لأغراض الحديث والكتابة يقدم أيضاً مفاتيح من النوع نفسه، وإن كنا في هذه الحالات لا نأخذ المفاتيح من ملاحظة الحركات الفعلية نفسها، بل من الشيء المصنوع الناتج، أي من الوسط؛ فهو يحتفظ في شكله المادي بخصائص الحركات التي توجده، أو الإشارات " [٣].

ويـــرى أنه من الممكن أن تسمى العلامة التي من هذا النوع إشارة **an index** ، كمـــا يمكـــن أن تســـمى خصائص الوسط إلى إشارات كتلك " الخصائص الإشارية " **Indexical Features** بوصفها متميزة عن خصائصه اللغوية **Linguistic Features** .

كمـــا أنـــه يعد بعض الخصائص الإشارية الموجودة في كلام شخص ما أو في خطـــه مكتســـبة أي متعلمة من آخرين، ومن ثم يجب أن يشتركوا فيها، على حين أن بعضـــها الآخر ليس بمتعلم، ومن ثم فهو فردي شخصي، زاعماً أن من بين الخصائص

---

(١) السابق ص ٩ .

(٢) ترجمها د. فتيح هكذا، وربما تكون ترجمتها بالخصائص الدلالية أقرب إلى ما يريده إبركرومبي.

(٣) إبركرومبي ١٩٨٨م ، ص ١٣ .

الأولى يشترك فيه أناس قليلون، وآخر تشترك فيه مجموعات كبيرة، وثالث تشترك فيه أمم برمتها، بل تجمعات أكبر من التجمعات القومية [1].

كما يرى أن تقسم الإشارات الموجودة في نطقنا إلى ثلاثة أنواع، طبقاً لنوع ما تدل عليه :

[أ] الإشارات الدالة على الانتساب:

ويتضمن هذا – حسب إبركرومبي – نطق كل المتكلمين في اللغات جميعها إشارات محلية، يشترك في هذه الإشارات أعضاء الجماعات التي تعيش في منطقة ما، كما تدل هذه الإشارات في بعض أجزاء من العالم دلالة دقيقة جداً على المكان الذي تربى فيه الشخص [2].

[ب] الإشارات المميزة للفرد:

الإشارات التي تميز الفرد ويمكن أن تسمى الإشارات الفطرية، وهي تمكننا من التعرف على الأشخاص عن طريق الصوت وحده عبر التليفون أو في الكلام مثلاً، كما أنها لا تُتعلم من الآخرين في العادة؛ فكثير منها يتولد في الواقع مباشرة عن بواعث طبيعية، ولهذا فهي فوق سيطرة المتكلم وإشارات الجنس والسن التي يتضمنها الكلام من هذا النوع، وكذلك آثار التشوه الخلقي .. واللثغات ، ونظائرها من عيوب الكلام [3].

[ج] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة:

هذه الإشارات يمكن أن تخبر عند شخص ما دون النظر إليه ما إذا كان يتكلم بملء فمه أو لا ، وهذه الإشارات لا توجد دائماً في نطق شخص ما، بل تروح وتجيء طبقاً لحالته المادية والمعنوية. وهناك إشارات أخرى من هذا النوع ترتبط بحالات التعب والإثارة والزكام والعم والإفراط في شرب الخمر والقلق، ومن الطبيعي أن تتولد بعض الإشارات أتوماتيكياً عن الحالات المادية التي تؤثر مباشرة على أعضاء النطق"[4].

---

(1) السابق ص ١٤ .

(2) السابق ص ١٦ .

(3) السابق ص ١٧ .

(4) السابق ص ١٨ .

كمـــا يشير إلى الخصائص الجمالية، التي هي من خصائص الوسط، ومن أمثلة ذلـــك نطـــاق الوســـط أي حجم الأشكال أو درجة الصوت[١]، مشيراً إلى أن الشعراء استغلوا في اللغات جميعها خصائص الوسط الموسيقية، والتي هي كثيرة ، منها الإيقاع وتنوع طبقة الصوت [٢].

ثم يفصل القول في الفصل السادس من كتابه عن العناصر الأساسية في الوسط الشفوي مقرراً أنها عنده مجموعات ثلاث، كالآتي:

[أ] الخواص القطعية:

ويصفها بأنها تتكون من سمات سمعية معقدة في حالة من التذبذب السريع تعكس ســـرعة تعاقـــب حـــركات المصوتات، والخواص القطعية أيضاً هي ما تكون بوضع التساؤل عندما نقول إن شخصاً ما يمتلك صوتاً واضحاً [٣].

[ب] خواص نوعية الجهر:

وهـــو يقصد بالجهر هنا ليس الصوت الناشئ عن التصويت، أي تذبذب الأوتار الصـــوتية، بل يقصد شيئاً أعم من ذلك بكثير " نعم هناك كثير من مكونات الوسط التي تقـــع تحت العنوان : " خواص نوعية الجهر " عندما نُسِرُّ بشيء أي عندما يكون الجهر بمعناه الصوتي الدقيق مختفياً تماماً، بل إن بعض هذه الخواص يتحقق عندما نسعل فقط أو نتنهد أو نتنحنح؛ فالمصطلح " نوعية الجهر " يشير إلى هذه الخواص الموجودة تقريباً طوال الفترة التي يتكلمها الشخص " [٤].

[ج] خواص دينامية الجهر:

ويراها الخواص المعنية التي يسيطر عليها المتكلم، ومن ثم من الممكن تعلمها، كمـــا ينزع الناس للسبب نفسه إلى تقليد الآخرين فيها، وهي – حسب إبركرومبي قادرة علـــى تميـــيز الطوائف الاجتماعية والأفراد كليهما، ويمكن النظر إلى هذه الخصائص تحت العناوين التالية [٥]:

---

(١) السابق ص ١٩.
(٢) السابق ص ٢١ .
(٣) السابق ص ١٣٨ .
(٤) السابق ص ١٣٩ .
(٥) السابق ص ١٤٤ .

١- الجهارة Loudness .
٢- سرعة الإيقاع Tempo .
٣- الاستمرارية Continuity .
٤- الإيقاع Rhythm .
٥- المجال الطبقي Tessitura .
٦- النغمة Register .
٧- تذبذبات طبقة الصوت Pitch Fluctuation .

هـذا التحلـيل المسـتفيض يكون الافتتاح لدراسات أخرى في المدرسة اللغوية الإنجلـيزية، فمـثلاً يختار ليفير J. Laver نوعية الجهر وعلاقتها بالمعلومات الدلالية Voice Quality and Indexical Information ، ويذكر أنه اختار نوعية الجهر من خلال ما أسماه بالمعلومات البيولوجية Biological Information ، ويذكر أن هذه العملية يدخل فيها عدد من أعضاء الجهاز الصوتي، كما أن عملية التصويت متوقفة على صفات هذا الجهاز الصوتي(١).

كمـا يذكر أن هناك ربطاً بين حجم الشخص وطبيعته وحجم حنجرته والأحبال الصوتية، فلو سمعنا صوتاً عميقاً جداً في الهاتف نتوقع بثقة أن المتكلم رجلاً كبيراً قوياً، فمن خلال الصوت نأخذ انطباعات عن جنس وعمر المتكلم، كما يشير إلى انطباع آخر يحدث من خلال الصوت وهو الحالة الصحية للمتكلم، ويضرب مثالاً لذلك يربط فيه بين المـتكلم بهمس والصحة الضعيفة، وبين ما يسمى بالأصوات الصاخبة العميقة والصحة الجيدة (٢).

كما يشير إلى أن نوعية الجهر تمدنا بدلالات نفسية قائلاً : " بأننا نرى كمسمعين إلـى اسـتنتاجات مـن نوعية الجهر من خلال الملامح النفسية لأي متكلم، ففي تقييم الشخصـية نحن مستعدون في الثقافة الغربية للاعتقاد أن أي صوت أجش مرتبط أكثر بـالملامح العدوانـية والسيطرة الدكتاتورية ، وأن صوت الهمس مرتبط أكثر بالصوت المتواضع والمطيع والشخصيات الحليمة(٣).

ويأتي اللغوي الإنجليزي ديفيد كريستل D. Crystal ليشارك في هذا المضمار من خـلال بحـثه المـتعلق بالبروسـودي والسـمات المصاحبة للغة وعلاقتهما بالطبقات

---

(1) J. Laver 1972, P. 190 .
(2) I bid, P. 196 – 197 .
(3) I bid, P. 198 .

الاجتماعـــية، يشير في البداية إلى أن المظاهر الصوتية غير القطعية non-Segmental للملفـــوظ ، هـــذه الملامـــح عولجـــت بندرة[1]، كما يشير إلى أهمية الأبحاث الخاصة بأثنوجرافـــيا التواصل، فهي تبرهن على نقلة أخرى في الاتجاه الصحيح، فهايمز يؤكد بوضوح كبير إلى الاحتياج إلى تطور أثنوجرافيا الكلام لتعريفها لخصوصية أنواع تلائم القول مع أنواع السياقات [2].

وتحـــاول دراسة كريستل أن تتخذ من الملامح غير القطعية [n-s] في السياق الأنثربولوجـــي الاجتماعـــي لربما تكون معروفة من خلال الأنثربولوجيين واللغويين، وربما هذا يساعد في توضيح طبيعة هذه الملامح، ويخلص إلى أن هذه الملامح متعلقة ودالـــة علـــى معلومات منها الجنس والعمر ومكانة الإنسان، والتعاون والوظائف، وقد أعطى عدداً من الأمثلة المرجعية من الإنجليزية تؤكد نوعية المعلومة المتضمنة[3].

من كل هذه الدراسات التي قدمناها تقرر الآتي:

- حـــدث تمييـــز بين الكلام Speech والصوت Voice من خلال الرائد سابير، ذلك أن الصـــوت حـــركة تعبـــيرية، وأنـــه ملفوظ شخصي مركب من عوامل معقدة، باختصـــار هـــو الصـــيغة الظاهرة للتعبير اللغوي. أما الكلام يشمل المفردات المستعملة واللغة أو اللهجة المتكلمة، والبناء النحوي وطريقة التركيب، من هذا كله تتكون خصوصية الكلام .

---

(1) D. Crystal, 1972, P. 185.

(2) I bid, P. 187.

(3) I bid, P. 188- 189 .

وأشـــير هنا إلى أن كرامر Kramer قد قام بتحليل معملي للأصوات ليحاول أن يثبت أو ينفي العلاقة بيـــن الصوت والشخصية، خلص منه إلى أنه لا توجد علاقة بين الصوت والشخصية، لكنه يشير إلـــى أن هناك من يلاحظ من خلال الخبرة العامة تحصل صلات بين الصوت والشخصية. انظر بحثه التالي : E. Kramer, 1972, P. 184. .

ويخلص كل من G.N. Allport and Cantril في بحثهما 1972 إلى أنهما وجدا استنتاج الشخصية يرســـم مـــن خلال كلامهم، وأن شخصياتهم متلائمة مع أصواتهم أكثر من أي سمة فردية . انظر بحثهما 1972, P. 156. .

- تتطور هذه الأفكار عند إبركرومبي ليدرس هذه الظاهرة **Paralanguage** ليفرق بين الوسط واللغة معتبراً هذه الظاهرة هي الوسط في حالة اللغة المنطوقة، ويتوسع في دراسة هذه الظاهرة التي أفرد لها فصلين [الأول، والسادس] من كتابه ١٩٦٧ [مبادئ علم الأصوات العام]، وما يهمنا هنا أنه جعل لهذه الظاهرة دلالات هي كالآتي:

[أ] دلالات على الانتساب إلى طائفة من الناس.

[ب] دلالات مميزة للفرد .

[ج] دلالات كاشفة عن حالات المتكلم المتغيرة [١].

---

(١) إبركرومبي ص ١٦ . ونذكر هنا أن هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر التواصلية أخذت رؤية أخرى من خلال البحث في إثنوجرافيا التواصل Ethnography of Communication وبخاصة عند رائد هذا المجال الأمريكي ديل هايمز D. Hymes ، فقد بنى رؤيته لهذا المنهج على أن الكلام يتمركز أو يتحدد نظامياً داخل سياقه الثقافي – الاجتماعي، ففي بحثه 1968 عن إثنوجرافيا الكلام ركز على أهمية الدور الاجتماعي في عمليات التواصل، وفي تحديده للخصائص المميزة للسياق التي لها قيمة في تحديد أنماط الأحداث الكلامية، حيث ركز على:

١- الأشخاص المشاركون في الحدث الكلامي .

٢- الموضوع الذي يتكلمون فيه .

٣- الظرف ويقصد به السياق الزماني والمكاني .

٤- وضع الجسم عند الأطراف المشاركة .

٥- القناة، باللفظ أم بالكتابة أم بالإشارة ... إلخ .

٦- الشفرة [اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل] .

٧- صيغة الرسالة [حديث عابر غير رسمي أو مناظرة أو خطبة أو حكاية شعبية أو قصيدة .. إلخ] .

٨- طبيعة الحدث التواصلي هل هو خطبة أو دعاء .

٩- الطابع ، هل كانت خطبة جيدة أم لا .

١٠- الغرض [الذي يريده المتواصلون] .

انظر توضيحاً أكثر في : D. Hymes 1968, P. 99, 109 - 115. .

كما نذكر أن هايمز يرى أن تعريف تشومسكي للقدرة اللغوية Competence تعريف ضيق لا يتناسب مع الطبيعة الاجتماعية للغة، ومن ثم اقترح استبدال القدرة اللغوية بالقدرة التواصلية، ذلك أنه يرى أن القدرة اللغوية مقدرة عقلية للشخص، وأن القدرة تعتمد على المعرفة وعلى مهارة الاستعمال في التواصل. انظر تفصيلات أكثر في بحثه التالي .D. Hymes, 1972, PP. 269-293 . -

ومن خلال هذه المفاهيم سوف أحلل هذه الظاهرة ودلالتها في ثلاث من روايات الأستاذ نجيب محفوظ الذي لاحظت أنه يرتكز على هذه السمات الصوتية في رسم صور أبطاله، وثقافاتهم بما تحتويه كلمة ثقافة من معاني أنثروبولوجية، وحتى يتضح الأمر أذكر ما قاله إبركرومبي من أن الأستاذ هيجنز **H.Higgins** بطل بيجماليون كان متخصصاً في تحديد أماكن الناس بالاعتماد على لهجاتهم[1]، بمعنى أن المؤلف يرسم من خلال أبطاله كثيراً من الظواهر التي أمامنا، ومن ذلك ما يذكره د. كريم حسام الدين من أننا يمكن أن نقف على مثل هذه السمات الصوتية التي تميز المتكلمين دلالة هذه السمات في الأعمال المسرحية والمسلسلات الإذاعية والتليفزيونية والقصص والروايات الأدبية، وقد مثل لذلك بمقتطفات سريعة من ثلاثية الأديب المعاصر نجيب محفوظ تصور السلوك الصوتي للسيد أحمد عبد الجواد بطل الثلاثية وزوجته ربة البيت من مثل قوله:

- " وقف الحنطور أمام البيت وارتفع صوت زوجها وهو يقول في نبرات ضاحكة استودعكم الله ... " [2].
- " السيد عبد الجواد: مساء الخير يا أمينة .
- فقالت بصوت خفيض ينم عن الأدب والخضوع: مساء الخير يا سيدي "[3].
- " ... ومضت أمينة إلى الأب فزفت إليه البشرى بنبرات رقيقة مهذبة مبالغة هذه المرة في حيائها وتهذيبها " [4].

= ومن هذا نصل إلى أنه تحول مع هذه الدراسات الاهتمام باللغة بنية ودلالة منفصلة عن سياقها إلى الاهتمام باللغة في سياقها مع الأنظمة التواصلية الأخرى التي تتكاتف مع اللغة للوصول إلى ولوج دلالة كاملة للحدث التواصلي .

(1) إبركرومبي ص ١٦ .

(2) انظر د. كريم حسام الدين ١٩٩٢م ، ص ٨٣ وما بعدها، وكذلك بين القصرين لنجيب محفوظ ص ١٠ .

(3) بين القصرين ص ٨ .

(4) السابق ص ٢٤٩ .

ومـــن هـــنا فإن الوسط بمفهوم الأستاذ إبركرومبي يكون هو الشخص المستخدم للغـــة الموجـــودة لـــدى مجتمعه، هذا الوسط أو هذا الشخص ينتج اللغة حسب خواص شخصية، ومن هنا يأتي الاختلاف، فمن خواصه الشخصية يظهر جنسه وعمره وحالته الصـــحية والنفســـية وانتماؤه الاجتماعي وثقافته في استخدام هذه السمات. كما أن هذه الظاهرة وإن لم توصف وصفاً علمياً في مجتمعات كثيرة إلا أننا نلاحظ أن كل ثقافة لها سمات خاصة في الاستخدام في التفاعل مع الأصوات، ولهذا هناك تقنين داخل كل ثقافة لاســـتخدام الأصـــوات أو قـــل استخدام الوسط الحامل للكلام، ومن ذلك نجد في الثقافة الإســـلامية رفضاً لعلو الصوت، يقول الله تعالى : ﴿ **وَاقْصِـــدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَـــوْتِكَ** ﴾ [1]، وبالتالي فكل ثقافة لديها تقنين لاستخدام الوسط الذي هو الوسط الحامل للكلام .

---

(1) سورة لقمان: الآية [١٩] .

ثانياً : الدراسة التطبيقية، دلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي، وتحتوي على العناصر التالية :

[١] السمات الخاصة بالكلام ودلالاتها، وتحتوي على:

[أ] الإشارات المميزة للفرد، والخاصة بالسمات الشخصية ودلالاتها.

[ب] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة ، ودلالاتها.

[ج] الإشارات الدالة على الانتساب إلى طائفة معينة.

[٢] دلالات الأصوات غير الكلامية [الفضلات الصوتية ، مثل: الضحك، والبكاء، والصراخ، والتأوه، والغمغمة]

كل هذا من خلال مادة البحث، روايات الأستاذ نجيب محفوظ : ملحمة الحرافيش، الشحاذ، السكرية . وأبدأ بالقسم الأول:

[١] السمات الخاصة بالكلام ودلالاتها:

[أ] الإشارات المميزة للفرد، والخاصة بالسمات الشخصية ودلالاتها:

إن الصوت سمة تحدد السمات الشخصية، ويسميها البعض الإشارات الفطرية، وهي تمكننا من التعرف على الأشخاص عن طريق الصوت وحده عبر الهاتف أو في الظلام مثلاً، كما أنها لا تُتعلم من الآخرين في العادة، فحسب إبركرومبي كثير منها يتولد في الواقع مباشرة عن بواعث طبيعية، ولهذا فهي فوق سيطرة المتكلم، وكذلك تتضمن إشارات عن الجنس والسن [١].

فالصوت يساهم بشكل كبير في تحديد سمات الشخصية التي نسمعها حتى ولو كانت في الظلام أو الهاتف، فإننا نتعرف من خلال الصوت عن جنس المتكلم وسنه، وهذا يرجعه علماء الأصوات إلى أن لكل صوت إنساني بصماته المميزة التي قلّما تلتبس ببصمات صوت آخر، ويذكر د. أحمد مختار عمر – رحمه الله – أن في علم اللغة يوجد مصطلح اسمه " التعرف اللغوي " الهدف منه في معظمه هدف عملي وهو القدرة على أن تدل من أصوات لغة منطوقة على نوع اللغة التي تواجهها، كما يشير

---

(١) إبركرومبي ص ١٧ .

إلـــى أنـــه يســـتغل لتحديد المنطقة اللغوية الصغيرة التي ينتمي إليها المتكلم، لكن على المستوى الشخصي هناك عوامل أخرى تحدد السمات الفردية، ومنها:

١- الخصـــائص النطقية المعينة الناتجة عن خاصة عضوية في المتكلم كأن يكون هناك تصلب أو ارتفاع في مؤخرة اللسان فينتج الصوت مغرغراً.

٢- يـــؤدي إلـــى تميـــيز الأصـــوات اختلاف معدن الصوت، والذي قسمه علماء الأصوات إلى معادن خمسة رئيسة.

٣- ويشـــيرون أيضاً إلى اختلاف الفراغات الرنانة المضخمة للصوت، وهي التي يمر خلالها الهواء بعد الحنجرة [١].

كما أن هناك من يشير إلى ما يسمى بالبصمة الصوتية للجنس، ويرون أن أظهر فـــرق فـــي صوت الذكر والأنثى البالغين هو " درجة الصوت " ، أو التردد الأساسي للتصويت الذي يعتمد على طول الوترين الصوتيين ووزنهما ودرجة توترهما، وقد خلق الله المرأة بوترين صوتيين أقصر وأقل ضخامة وأكثر قابلية للشد من وتري الرجل مما يـــؤدي إلـــى زيـــادة سرعتهما وعدد ذبذباتهما في الثانية، وهذا بدوره يؤدي إلى حدة الصوت.

وهـــناك عـــامل ثـــان يمـــيز الجنسين وهو نموذج الرنين الحادث في التجويف الصوتي فوق الحنجري ، فالذكور البالغون – في العادة – يملكون تجاويف صوتية فوق حنجرية أكثر مما تملكه الإناث ، ولذا فهم ينتجون حزماً صوتية أخفض، كما أن هناك عاملاً ثالثاً وهو العادات الكلامية لكل جنس، والتي تتبع الثقافة التي اكتسبوها [٢].

إن كـــل هـــذه العوامـــل تصنع فروقاً بين الجنسين ، وبين الأفراد في كل من الجنســـين، وســـوف نرى من خلال التحليلات التي سوف أقدمها إلى أي مدى الصوت يوظف كسمة شخصية للأفراد، وله دلالاته على مستوى الأحداث في الرواية.

---

(١) انظر د. مختار عمر ٢٠٠٢م، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

(٢) الســـابق ص ١٧١، وانظـــر الفصـــل الخـــامس من كتاب د. أحمد مختار عمر: **اللغة واختلاف الجنســـين** ١٩٩٦م، ص ص ١٢٧ – ١٤٣ ، وانظـــر الكتاب التالي: Max.K. Adler, 1978, PP. 1-26.

في رواية ملحمة الحرافيش يوظف الأستاذ نجيب محفوظ هذه السمات في رسم صور لأبطاله تحمل الدلالة التي يريدها، ومن هنا نراه يرسم صورة بطله عاشور قائلاً : "وثمة شبح يقف منه على بعد شبرين يعكر عليه صفوه ويشده إلى عالم القلق، فرفع صوته الأجش متسائلاً :

- ماذا تنتظر يا معلم درويش ؟

فلكزه درويش في صدره وهمس بحنق :

- أخفض صوتك يا بغل ! " (١).

نستنتج من هذه الصورة الروائية أن درويش صوته أجش، وهذا الصوت من قبل من معه " درويش " صوت غير مقبول، ذلك أن درويش يقول له : أخفض صوتك يا بغل! ، ويذكرنا هذا برؤية الصوت الحسن ، والصوت غير الحسن.

يقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾(٢) ، يقول الرازي : " رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام، أمرهم سبحانه وتعالى بأن لا يخاطبوه ﷺ كما يتخاطبون فيما بينهم ولا يكثرون من الكلام بين يديه احتراماً " (٣).

وتحفظ لنا بعض كتب الأدب تصور العرب لجهارة الصوت، والتي تروي ما يؤكد أن الجماعة العربية كانت تدعو إلى الالتزام بغض الصوت؛ لأنه من علامات الأدب واحترام الغير (٤).

ويواصل نجيب محفوظ في رسم سلوك عاشور الصوتي في الحرافيش قائلاً:

" فصاح بصوته الأجش " (٥).

---

(١) الحرافيش ص ١٦ .

(٢) سورة الحجرات : الآية [٢] .

(٣) الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٤/ ١١٢ .

(٤) انظر عرضاً لهذا في كتاب د. كريم ١٩٩٢م، ص ١٢١ وما بعدها .

(٥) الحرافيش ص ٣٤ .

ويقول أيضاً : " فحرك رأسه الكبير بحيرة صامتاً " [1].

نلاحـــظ هنا أنه يصفه بصاحب رأس كبير، أليس هو بداية فتوات الحرافيش لما له من قوة صوتية وقوة جسمانية، انظر إلى رد عاشور في السياق التالي : " ماذا جاء بك يا عاشور ؟ ، فقال بغلظة " [2].

فهو غليظ في سماته الصوتية أيضاً كسماته الجسمية، أليس عاشور الذي يصفه نجيـــب محفوظ بالقوة في السياق التالي، الذي يرسمه محفوظ كالآتي : " فثار درويش وصاح :

- ستصير أحدوثة الصغير والكبير ..

فصاحت فلة :

- إنه قادر على حماية ما يملكه .

فـــانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور نحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي ...

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض وهو يصرخ:

- في ألف داهية .. " [3].

انظـــر كيف يرسم نجيب محفوظ قوة عاشور التي جعلت درويش يتأوه، والتأوه عملية صوتية لها دلالتها، وكذلك الصراخ، والزمجرة ، وسوف نشرح دلالتها في مكانها مـــن هـــذا البحـــث، إلا أننـــي هنا ما أريد توضيحه ربط قوة عاشور الجسمية بسماته الصوتية، إنه صاحب صوت أجش، ويقول بغلظة، حتى عندما يغضب يقول محفوظ : " وصاح بصوته الأجش الباكي " [4].

---

(1) السابق ص ٤٧ .

(2) السابق ص ٤٩ .

(3) السابق ص ٥٠ .

(4) السابق ص ٦٨ .

انظـــر إلـــى تصـــوير محفوظ لعاشور بقوله : " ولعل القضاة أعجبوا بعملقته، وبصورة الأسد المرسومة في صفحة وجهه، ولم ينس الناس صوته الأجش " [1].

ولنـــنظر إلـــى النص التالي الذي يحمل دلالات صوتية مهمة، يقول محفوظ : " وبصوت كالرعد صاح :

- يا درويش !

خيّل إليه أن غصون الأشجار تميد من صوته ، ولكن لم يجبه أحد " [2].

انظر إلى الصوت الذي كالرعد، إنه صوت قوي لرجل قوي يخيل إليه من قوة صوته أن تميد الأشجار منه .

هذه الدلالات تتكرر في نص آخر في صورة حوار بين عاشور ومحمود قطايف - شيخ الحارة - يصور نجيب محفوظ هذا الحوار كالآتي : " أثمة شك في ملكيتي لها ؟

- معاذ الله ولكنها الأوامر !

فقال بحدة بصوته الخشن :

- أريد أن أعرف ما تعنيه أوامرك ؟

فقال محمود قطايف بصوت منخفض :

- اعتصبت بعض دور الهالكين في الأحياء المجاورة !

وغرقا معاً في صمت ثقيل مشحون بالتوجس والريب حتى رفع عاشور صوته قائلاً .. " [3].

يوظـــف نجيـــب محفـــوظ صوت عاشور الخشن[4] كسمة صوتية شخصية لها دلالـــتها فـــي الـــرواية، وانظر كيف أن شيخ الحارة يتكلم بصوت منخفض مع الفتوة

---

(1) السابق ص ٨٣ .

(2) السابق ص ٦٩ .

(3) السابق ص ٨٠ - ٨١ .

(4) يذكر إبركرومبي أن الصوت الأجش يرتبط بصفات نوعية الجهر، ويرى أن نوعية الجهر تستمر تقريباً طوال الفترة التي يتكلمها الشخص، فهذه النوعية أشبه بصفة ثابتة تستمر طوال مدة خروج الصوت من فمه . انظر: إبركرومبي ص ١٣٦ ، ١٣٩ .

عاشور، وكيف أن عاشور يرفع صوته على شيخ الحارة، وهذا له دلالة كبيرة في هذا السياق الثقافي .

إن نجيب محفوظ يصف لنا الحوار بشكل دقيق يصف فيه الصورة النطقية، والسياق الثقافي، وكل هذا له دلالاته داخل المجتمع الذي يعيشه الأبطال، فهو يصف ويكثف الدلالات حتى يخرج عمله بدلالاته الاجتماعية والتي منها السمات الصوتية حتى يكون العمل دالاً بالمعنى الواسع لهذا المفهوم.

إذا كان محفوظ يرسم لنا صورة عاشور مستعيناً بسماته الصوتية لرسم صورة الفتوة القوي، فإنه أيضاً يستعين بالسمات الصوتية في رسم شخصيات أخرى، ومنها مثلاً السمات الصوتية الخاصة بعبد المنعم شوكت في " السكرية " ، الذي يصف سماته الصوتية بقوله : " فقال عبد المنعم إبراهيم شوكت بصوته القوي "[١]، ثم يصف صوته قائلاً : " فقال عبد المنعم بصوته اليقيني" [٢]، ثم يقول بعد ذلك : " فقال عبد المنعم بصوت قوي شديد الثقة بنفسه " [٣]، ويقول أيضاً : " فقال عبد المنعم بصوته القوي ...

فقال الصوت القوي" [٤]، و" فقال عبد المنعم وقد ارتفع صوته حتى جعل الشباب الذي يجلس بينه وبين أخيه يردد رأسه بينهما كالمنزعج " [٥] .

إن عبد المنعم بسماته الصوتية هذه قوي الصوت، وتتكرر هذه السمة مذكرنا المؤلف بسمته جاعلاً منها سمة ملازمة كأي سمة في جسمه مثلاً لتدل من خلال الرواية على اليقين، ألم يصف صوته عالياً بأنه الصوت اليقيني، وكذلك : " فأجابه عبد المنعم إبراهيم شوكت بصوته القوي المفعم بنبرات التوكيد " [٦]، وكذلك : " فقال عبد المنعم بلهجة اليقين التي اشتهر بها " [٧]، وكذلك " عبد المنعم بصوته القوي العميق "[٨].

---

(١) السكرية ص ٢٨ .
(٢) السابق ص ٣٣ .
(٣) السابق ص ٧٧ .
(٤) السابق ص ١٣١ .
(٥) السابق ص ١٣٥ .
(٦) السابق ص ٢٤ .
(٧) السابق ص ٨١ .
(٨) السابق ص ٢٩٥ .

إن السمات الصوتية الخاصة بعبد المنعم أحد أبطال رواية السكرية يستغلها نجيب محفوظ لرسم صورة هذا البطل، ويؤكد من خلال هذه السمات المحببة في ثقافتنا على ما يذكره في ثنايا الرواية، حيث يذكر : " وكان عبد المنعم قد تبلور طابعه واتجاهه ، فأثبت أنه موظف كفء و " أخ " نشيط، وقد انتهى الإشراف على شعبة الجمالية إليه فعين مستشاراً قانونياً لها، وأسهم في تحرير المجلة، وكان يلقي المواعظ أحياناً في المساجد الأهلية .. " [1].

إن ما نريد أن نقوله هنا إن نجيب محفوظ يستغل دلالات السمات الشخصية الصوتية والمقننة في ثقافتنا، فكل سمة لها دلالة، وكل دلالة لها قبول أو عدم قبول في ثقافتنا العربية، وإذا كنا قدمنا في الصفحات السابقة وصف نجيب محفوظ من خلال رواياته الثلاث المذكورة للسمات التي يتميز بها أبطاله، ومنها السمات الشخصية الصوتية الخاصة بالرجال، فإنني في السطور التالية سوف أقدم وصفه لنطق أبطاله من النساء .

انظر إلى وصفه لكلام امرأة من خلال هذا النص : " فابتسمت في دلال فقال :

- الحب يصنع المعجزات .

فقالت بعذوبة " [2].

فسمة العذوبة هنا مقرونة بامرأة تبتسم في دلال، ويقول في سياق آخر :"فقالت بنعومة "[3] إن النعومة سمة خاصة بقول المرأة، ويقول : " وإذا بصوت رفيع حادل يصرخ "[4]، وهذا الوصف صحيح علمياً ذلك أن حدة الصوت عند المرأة نتيجة لقصر الوترين الصوتيين لديها وأيضاً ضآلتهما، وهذا يسبب زيادة في عدد الذبذبات عند المرأة أكثر من الرجل مما يؤدي إلى حدة صوت المرأة مقارنة بالرجل [5].

---

(1) السابق ص ٢٩٤.

(2) الحرافيش ص ٣٩٤ .

(3) السابق ص ٤١٢ .

(4) الشحاذ ص ٨٦ .

(5) د. أحمد مختار عمر ١٩٩٦م ، ص ١٣٢ .

وأيضـــاً يقول : " وإذا بالصوت الرفيع يعلو "[1]، الصوت الرفيع هو هنا صوت امرأة، إنه يريد أن يدلل بالصوت الرفيع على امرأة ذات ملامح حسنة، وتتجلى السمات الخاصـــة بالمـــرأة في الموقف التالي بين عمر الحمزاوي بطل روايته " الشحاذ " وبين وردة الراقصة إحدى بطلات الرواية، يقول محفوظ : " وقال لها بصدق :

– الحق إني آسف يا وردة .

فقالت وهي تبتسم ابتسامة غامضة :

– لا يجب أن تأسف على ما فات ..

ثم بنبرة ساحرة :

– وتجربة الحب ثمينة ولو بالعذاب !

فقال وهو يعض شفتيه :

– لست طبيعياً ..

فقالت بصوت مهموس .. " [2].

نلاحـــظ أنه يستخدم صفة ساحرة للنبرة التي قالت بها وردة الجملة، والنبرة هنا بمعـــنى النغمة التي عليها النطق، وهذا له دلالته في عالم الحب في ثقافتنا، كذلك عندما تقـــول بصـــوت مهمـــوس، والهمس هنا ليس الصفة الصوتية المقابلة لصفة الجهر في تصنيف الأصوات اللغوية، وإنما هو الكلام بصورة تخفي الكلام، أو بتعبير آخر بمعنى الكـــلام الخفيض، وله دلالة هنا يريد أن يطغيها محفوظ على نصه وهي أن الهمس بين الرجل والمرأة لا يكون إلا بين المقربين لبعضهما.

والـــنص التالـــي يلخص لنا السمات الصوتية الفارقة بين الرجل والمرأة، والتي نلحظهـــا جمـــيعاً، ويدركها محفوظ مسجلاً إياها لتعطي دلالة قوية داخل الرواية، وهذا النص عبارة عن حوار بين أحمد وعلوية صبري، والحوار مفاده أن أحمد يريد مفاتحة علوية في أن يخطبها، ونتخير منه بعض الفقرات المهمة لنا : " فقالت بصوت خافت لم يخل من عتاب ...

([1]) الشحاذ ص ٨٧ .

([2]) الشحاذ ص ١١٦ – ١١٧ .

فقال بعناد وإخلاص ..

.....

فتمتمت في حياء :

فقالت بصوت كأنما تعمدت أن يكون رقيقاً فوق العادة :

.....

فقالت بصوت حيي

.....

فقال بصوت غليظ " [1].

انظر المقارنة التي عقدها محفوظ بين السمات الصوتية عند الرجل " أحمد " والمرأة " علوية " علوية تتكلم بصوت خافت بينما أحمد يتكلم بعناد، علوية تمتم في حياء وبصوت حيي، كما أنها تتعمد أن يكون صوتها رقيقاً فوق رقته الحقيقية، بينما أحمد يتكلم بصوت غليظ إنه رجل وإنها امرأة أليس كذلك ؟ بلى، فالسمات الصوتية للرجل تختلف عن السمات الصوتية الخاصة بالمرأة ، وقد ذكرنا ذلك منذ قليل، والذي نريد أن نقوله هنا إن نجيب محفوظ كروائي ، أو قل إن هذه النصوص الروائية العربية تعرف وتدرك السمات الصوتية الخاصة بالجنسين ودلالتهما في ثقافتنا العربية، وكما رأينا في الصفحات السابقة أنه أحس بفروق صوتية بين كل شخص وآخر من الجنس نفسه، واستغل المؤلف هذا في رسم صور أبطاله أو قل أضفى على أبطاله سمات صوتية شخصية أعطت دلالات متنوعة[2] داخل الرواية .

([1]) السكرية ص ١٨٥ – ١٨٨ .

([2]) لعل ما يؤكد ارتباط السمات الشخصية بالسمات الصوتية في ثقافتنا العربية ما يذكره الرازي في كتابه " الفراسة " ص ١٦١ ، يذكر في باب دلائل الصوت والكلام أن " من كان صوته غليظاً جهيراً فهو شجاع مكار، ومن كان كلامه سريعاً فهو عجول قليل الفهم، ومن كان كلامه عالياً سريعاً فهو غضوب سيء الخلق، ومن كان كلامه منخفضاً فبالضد، ومن كان صوته ثقيلاً فهو رغيب البطن، ومن كان في صوته غنة فإنه حسود مضمر الشر " ، ومهما كان موقفنا من محتوى النص، لكنه يسجل تصوراً للسمات الصوتية المحببة وغير المحببة ودلالتها في الوسط الثقافي العربي آنذاك .

والآن أنتقل إلى العنصر التالي، وهو عن الإشارات الدالة على الحالات النفسية والصحية .

[ب] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة ودلالاتها :

إن علاقة قوية بين الصوت والحالة النفسية التي فيها المتكلم ، فهناك إشارات صوتية تدل على الحالة الصحية للمتكلم، وعلى حالات التعب والإثارة والزكام والإفراط في شرب الخمر، ومن الطبيعي حسب تصور إبركرومبي أن تتولد بعض الإشارات أتوماتيكيا عن الحالات المادية التي تؤثر مباشرة على أعضاء النطق ، كما أنه غالباً ما توجد إشارات إلى الحالات التي نحن بصددها أكثر أهمية من هذه الإشارات المتولدة مباشرة عن سبب مادي أعني تلك التي نتعرف منها على أحاسيس: كالتسلية ، والغضب، والاحتقار، والتعاطف، وغير ذلك مما يمكن أن يقع – حسب تصور إبركرومبي– تحت عنوان " نعمة الصوت Tone of Voice[1] " .

وإذا كان هذا تصور العلماء المحدثين فإن تصوراً عربياً قديماً إلى حد كبير يلمس العلاقة بين الصوت والحالة النفسية ، ففخر الدين الرازي [ت ٦٠٦ هـ] يتكلم عن هذه العلاقة قائلاً : " إننا نشاهد الإنسان حال استيلاء الغضب عليه يصير صوته صوتاً غليظاً جهيراً ، وعند استيلاء الخوف يصير صوته حاداً خفيضاً ، والسبب فيه أن عند استيلاء الغضب عليه تخرج الحرارة من الباطن إلى الظاهر فيسخن ظاهرة البشرة ، والحرارة توجب توسيع المنافذ وتفتيح السدد في آلات الصوت وهذه الأحوال توجب صيرورة الصوت ثقيلاً غليظاً، وأما عند الخوف فإن الأمر يكون بالعكس من ذلك ، وذلك يوجب صيرورة الصوت حاداً خفيفاً ، وإذا عرفت الكلام في هذين المثالين فاعتبر مثله في سائر الأحوال ، فإذا ضبطنا الأحوال النفسانية ثم تأملنا أن الحادث عند حدوث كل نوع منها أي أنواع الأصوات علمنا حينئذ أن بين تلك الحالة النفسية وبين ذلك الصوت المخصوص مناسبة واجبة وملازمة تامة[2] " .

نخلص من كل ذلك إلى أن العلاقة بين ظاهرة الصوت والحالة النفسية للمتكلم معروفة قديماً حديثاً ، كما أن الشخص العادي يلمس هذه العلاقة تماماً ويتفاعل معها في

---

(1) إبركرومبي ص١٨ .

(2) فخر الدين الرازي : الفراسة ص١١٠ .

سياقها ، ويدرك أن الغاضب يرفع صوته ونطقه يكون سريعاً ن أما الشخص الهادئ فيكون خافضاً لصوته ، كما نبرات الصوت تتغير حسب مشاعر وأحاسيس المتكلم، مثل: السعادة، والفرح، والحزن، والألم، والخوف، والفزع، والخجل، والاضطراب ، والتهكم، والسخرية[1] .

إن كال هذه المشاعر والأحاسيس الخاصة بالمتكلم تؤثر في نغمة أو نبرة صوته ، وهذا ما سجله الأستاذ نجيب محفوظ في رواياته فأكسبت عمله دلالة فنية ، والحق أننا مع أعمال هذا الرجل نحس بصدق الوصف لسياقات النصوص أو الحوارات، ومن الظواهر الصادق في وصفها ظاهرة الصوت ودلالاتها، وكما قلنا إن هذا النصوص الروائية تمثل ثقافة المجتمع بكل دلالاتها، وفي هذه الثقافة الصوت وسلوكيات مستخدميه لها دلالات تكشف عن دلالات يدركها أعضاء المجتمع، وبالتالي فنصوص هذه الروايات تسجل ما هو حاصل ، ومنها الظاهرة الصوتية وكيفية استعمال الصوت ودلالاته ، وإن نصوص نجيب محفوظ تدرك العلاقة بين الصوت والحالة النفسية للمتكلم ، أو قل إن شخوصه يدركون ذلك ، وفي السطور التالية عرض يؤكد ذلك .

في رواية الحرافيش يروي نجيب محفوظ قصة رؤية الشيخ عفرة لوليد صغير تركه أهله ، وأخذه الشيخ عفرة زيدان إلى بيته فأخذته زوجته سكينة ، وأقدم الآن هذه اللحظات والحوار الدائر بين الشيخ وامرأته، يقول : " راحت سكينة تهدهد الطفل ثم قالت بحنان :

- إنه ذكر يا شيخ عفرة .

فحرك رأسه صامتاً فقالت باهتمام :

- يلزمه غذاء ...

- وما درايتك بذلك وأنت لم تنجبي ذكراً ولا أنثى !!

.....

وتجلى صمت مفعم بالانفعالات حتى تمتم الشيخ عفرة زيدان :

- أليس من الخطأ أن نبقيه أكثر مما ينبغي ؟

---

(1) انظر تفاصيل أكثر في كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٢م ص٨١ .

فقالت بحماس وحرارة :

- الخطأ خطأ من ضيعه ...

ثم قالت وهي تتلقى إلهاماً بالرضى :

- لم يبق لي أمل في الإنجاب[1] ! " .

من خلال هذا الحوار تبدو لنا العلاقة بين الصوت والحالة النفسية واضحة ، فسكينة تستخدم سلوكاً صوتياً مع الطفل تحاول أن توصل له الحنان من خلال هذا الصوت ، ثم عندما اقتنعت أن الطفل يكون عوضاً لها عن عدم إنجابها تستخدم سلوكاً صوتياً آخر للتأكيد على احتياجها له ، فتتكلم بحماس وحرارة لتوصل من خلال هذا السلوك الصوتي تمسكها بالطفل ، ثم انظر إلى دلالة الصمت في هذا النص ، فعندما يحرك الشيخ عفرة رأسه صامتاً له دلالة الحيرة والتفكير في اتخاذ قرار ، وكذلك عندما يقول " وتجلى صمت مفعم بالانفعالات حتى تمتم الشيخ ...." فالصمت هنا له دلالته فهو صمت مفعم بالانفعالات ، فماذا يقول الرجل أيأخذه أم يذهب به إلى القسم ، ولماذا تركه والداه ، وأسئلة أخرى ، كل هذا جعل الصمت مفعماً بالانفعالات .

إن السلوك الصوتي يصفه محفوظ بمقدرة فائقة وكأنه لغوي ، وللنظر إلى النص التالي الذي يمثل حواراً بين درويش أخ الشيخ عفرة وعاشور الذي تربى عند الشيخ عفرة ، وفي هذا الحوار يحاول درويش استغلال قوة عاشور في السرقة إلا أن عاشور يرفض ،، وإليكم جزءاً من نص كبير : " وتمخض جانب الصحراء عن نأمة: وحمل الهواء عطر حي وارتفع صوت موسوم بالشيخوخة يقول :

- توكل على الله ..

وعند القرب وضح أن العجوز يمتطي حماراً . وعندما حاذاهما تماماً وثب عليه درويش ، ذهل عاشور وتحققت مخاوفه . لم ير شيئاً بوضوح ولكنه سمع صوت درويش وهو يقول متوعداً :

- هات الصرة وإلا ..

فتردد صوته مرتعشاً بالكبر والذعر :

---

(1) الحرافيش ص٨ .

- الرحمة .. خفف قبضتك ..

اندفع عاشور إلى الأمام بلا وعي وهتف :

- دعه يا معلمي !

صرخ به درويش :

- اخرس ... "[1].

السلوك الصوتي في هذا النص له دلالات متعددة ، فعندما يقول: " ارتفع صوت موسوم بالشيخوخة " نفهم أنه صوت رجل كبير ، كما أن هذا الرجل عندما يهدده درويش يسلك سلوكاً يؤكد خوفه وذعره وكذلك كبر سنه ، كل هذا نابع من قوله:" فتردد صوته مرتعشاً بالكبر والذعر " ثم انظر إلى تردد الصوت المرتعش ، فعملية تردد الصوت، وأنه موسوم بالارتعاش فيها دلالة الخوف والذعر، عن الصوت يكشف هنا عن الحالة التي مر بها الرجل الكبير .

ثم نأتي إلى سلوك درويش الصوتي في هذا السياق ، فهو يتكلم متوعداً الرجل ثم يصرخ، والصراخ هو الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة[2] ، فهو مفزوع بفعل عاشور هذا ، الذي رفض أن يساند درويش في سرقة الشيخ العجوز ، ومن هنا تتعدد دلالات السلوك الصوتي في النص .

وتتوالى النصوص التي تؤكد علاقة الصوت بالحالة التي عليها المتكلم ، ومن ذلك الحوار الذي دار بين بكر ورضوانة ، فيه يتحدث بكر بحزن عن الذي حدث من مشاكل في بيتهم بيت الفتونة ، يقول محفوظ : " تمتم بكر :

- هي الحقيقة يا رضوانة .

رآها تتمخض عن تمثال للذهول فقال بقهر ويأس وحقد :

- لا فتونة ولا مال ولا سعادة !

تساءلت بريق جاف :

([1]) السابق ص١٧ .

([2]) لسان العرب ، مادة صرخ .

- ولكن .- لكن كيف وقع ذلك ؟

- كما يقع الشلل والفضيحة والموت ، لم تتعجبين ؟ ما هي إلا مغامرة أخطأت الهدف !

فقالت بعذاب :

- طالما حذروك من المغامرات ..

فقالت بازدراء :

- الذين لا يعلمون ينتقدون ويعظمون ويحسدون ، عليهم اللعنة ... "[1] .

نرى ارتباطاً قوياً بين الحالة النفسية التي عليها كل من رضوان وبكر والسلوك الصوتي الذي يستخدمونه في هذا الحوار ، هذا كله له دلالته ، ثم انظر الوصف الذي يذكره المؤلف : فقالت بعذاب ... فقالت بازدراء ، ما معنى هذا ؟ إن ما يريد أن يصبغه المؤلف على القولين هو أنه واضح من خلال السلوك الصوتي المستخدم الحالة النفسية التي عليها صاحب القول ، والذي يتبين منه العذاب والازدراء .

ولننظر إلى الحوار الذي دار بين عاشور وزوجته زينب في حديث عن البوظة وقلة المرأة التي تعمل فيها ، يقول : " في انتظار كانت زينب أمام الباب . اهتدى إلى مسكنه بضوء مصباحها الموضوع على عتبة المدخل ... سألتها بلهفة :

- أين الأولاد ؟

فتساءل بوجوم :

- ألم يراجعوا ؟

فتنهدت بصوت مسموع فتمتم :

- لتكن إرادة الله .

وهو يجلس على الكنبة قالت بحدة :

- كان يجب أن تدعني أذهب ...

- تذهبين إلى البوظة في خضم السكارى ؟ !

---

(1) الحرافيش ص١٨٣ .

.....

- وما هذه الفلة التي رمانا بها درويش ؟

يتجنب النظر إليها وقال بازدراء :

- فيم تسألين ؟ بنت تقيم في خمارة !

- جميلة ؟

- داعرة .

- جميلة ؟

فقال بعد تردد :

- لم أنظر نحوها .

فقالت متأوهة :

- لن يرجعوا يا عاشور .... "[1] .

نلحظ ربطاً قوياً بين سؤال زينب بلهفة والموقف الذي تعيشه من غيرة على زوجها من فلة ، ومن خوف على أولادها ، وهي أيضاً تتنهد بصوت مسموع ، والتنهد دليل الحزن ، ثم إنها تتكلم متأوهة في إحدى الجمل ، والتأوه " هو حكاية المتأهّه في صوته[2] " ، مفيدة الحزن والتوجع ، هذا السلوك كله صورة للحالة النفسية التي عليها زينب من خوف وغيرة .

ولننظر إلى النص التالي ، والذي هو عبارة عن حوار بين سليمان الناجي مع أولاده ، بكر وخضر ورضوانة وسنية ليعرف من خلال حقيقة الفضيحة التي حدثت لهم ، يقول : " صاح سليمان بفظاظة :

- الحقيقة !

لم ينبس أحد فصاح :

- **الويل لمن يخفي همسة ...**

---

(1) السابق ص٤١ ، ٤٢ .

(2) لسان العرب ، مادة أوه .

ورمى رضوانة بنظرة فاحصة حادة آمراً :

- تكلمي يا رضوانة .

فأجهشت في البكاء فهتف متبرما :

- لا أحب الدموع ...

فتمتمت وهي تشهق

.....

فصاح سليمان

.....

فقال لها سليمان بحدة :

- اسكتي ..

فقالت بيأس :

- إنه الشيطان يدنس بيننا ..

فقال سليمان بحق :

- الشيطان لا يندس إلا بإذن منا ..

فقالت سنية مولولة :

- حلت بنا اللعنة .

.....

فصرخ سليمان وهو ينهض :

- ها أنت تعترف يا مجرم[1] " .

إن السلوك الصوتي هنا يرتبط بالحالة النفسية تماماً ، فسليمان الرجل سليل عاشور الناجي المعروف بالفتونة والصلاح ، يحدث في بيته فعل مشين ، هذا الفعل

([1]) الحرافيش ص١٦٩ ، ١٧١ .

يجعل الحالة لنفسية لسليمان أكثر من سيئة تجعله يصيح بفظاظة ومعنى صاح أنه تكلم بصوت مرتفع، حيث إن " .. صَيَّحَ : صَوَّتَ بأقصى طاقته[1] " ، كما أنه يهتف متبرماً، والهتاف هو " الصوت لشديد " ...

وهتف به هتافاً أي صاح به[2] " ، كل هذا دليل غضب سليمان الشديد ، ويتكلم بحدة ، وفي النهاية يصرخ ، والصراخ كما ذكرنا سابقاً هو الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة . هذا السلوك الصوتي مرتبط تماماً بالحالة التي عليها سليمان .

أما سلوك النسوة الصوتي في الحزن فهو مختلف ، وهذا حاصل في نصنا السابق فرضوانة عندما يكلمها سليمان بحدة ويقول لها تكلمي ، ماذا حدث أجهشت في البكاء ، وتمتمت وهي تشهق ، والتمتمة هي : " أن يعجل بكلامه فلا يكاد يُفهمك[3] " ، بمعنى عدم وضوح الكلام ، وهنا هو نتيجة للحالة النفسية التي عليها رضوانة ، ثم انظر إلى ولولة سنية ، وهو سلوك صوتي غالباً ما يسلكه النساء عند تعرضهن للمصائب أو الخوف وقد انتهج هذا السلوك المؤلف في رسم المواقف ، ويعبر عن السلوك الصوتي بنبرة وبلهجة ونغمة ، ومن التعبيرات التي ذكر فيها نبرة الآتي:"وبلغت نبرته غاية الاحتجاج[4] " ، يريد سلوكه الصوتي قد ارتفع للاحتجاج ، وأيضاً " فقال شيخ الحارة بنبرة ساخرة[5] " ، بمعنى سلوك صوتي يظهر منه السخرية ، و " فقالت فلة بنبرة باكية[6] " ، بمعنى أنها تكلمت بسلوك صوتي يظهر منه البكاء ، والنبرة هنا بمعنى الوضوح السمعي ، وليس بمعنى المصطلح الصوتي النبر المقابل للمصطلح الإنجليزي Stress ، فما أود أن أقوله إنه يستخدم نبرة بمعنى سلوك صوتي واضح أنه للبكاء أو للسخرية .....إلخ ، وفي السطور التالية عدد من الأمثلة المستخدم فيها كلمة نبرة توضح ما أقول .

---

(1) لسان العرب مادة " صيح .

(2) السابق مادة " هتف " .

(3) السابق مادة " تمتم " .

(4) الحرافيش ص٨٥ .

(5) السابق ص٩٢ .

(6) السابق ص٩٤ .

يقـــول : " فقال بنبرة عالية[1] " بمعنى سلوك صوتي عالي مؤكد مستخدم ليدل علـــى الحالـــة النفســـية التي عليها صاحب القول ، وأيضاً : " فقال بنبرة حزينة[2] " ، وكذلـــك " وغمغمـــت في حيرة فقالت رئيفة بنبرة عدوانية قاسية متحدية مباغتة[3] " ، بمعـــنى أنها قالت بسلوك أو طريقة عدوانية .....، وأيضاً : " بكت نور الصباح وقالت عفيفة بنبرة متشنجة[4] " ، كل هذه الأمثلة تؤكد استعماله كلمة نبرة بمعنى سلوك أو نهج صـــوتي هو سمة للقول ، هذا السلوك دال من خلال السياق على موقف صاحب القول من الأحداث الحاصلة في السياق ، ومن هنا هل نبرة صوته عالية أو حزينة أو ضاحكة أو عدوانية لها دلالة، مؤكد أن كل هذه الأمثلة تصف السلوك الصوتي الدال على الحالة النفسية التي عليها المتكلم .

ويســـتخدم أيضاً كلمة لهجة بالدلالة التي استخدم بها كلمة نبرة، وهذا يتضح من السياقات التالية ، ومن ذلك الآتي :

" فقال لها بلهجة آمرة[5] " ، وكذلك : " فقال له زين علباية بلهجة تحريض[6] " ، وأيضاً : " فقال ضياء بلهجة جمعت بين التشكي في ظاهرها والظفر في أعماقها[7] " ، وفـــي السكرية أمثلة منها : " وكان كمال يحب هذه اللهجة الوديعة اللطيفة التي لم يحظ بها إلا بعد عمر طويل[8] ... " .

في المثال الأول تعنى أنه استخدم سلوكاً صوتياً في قوله يشير إلى الأمر ، وفي الثاني بمعنى طريقة تحريضية في قوله ، وفي المثال الثالث بمعنى أيضا السلوك ، وفي كـــل هذه الأمثلة يكون السلوك الصوتي المستخدم دالاً في سياقه ، والأمثلة التالية تؤكد أيضاً ذلك .

---

(1) السابق ص٤٠٢ .
(2) السابق ص٣١٣ .
(3) السابق ص٣٤٨ .
(4) السابق ص٤٦٥ .
(5) السابق ص ٢٥٨ .
(6) السابق ص٥٣٤ .
(7) السابق ص٥٥١ .
(8) السكرية ص١٢ .

"بلهجة حزينة[1] "، و "وقالت بلهجتها الساخرة "حمد الله على السلامة[2]" ، "وقال الأستاذ بلهجة المتسائل[3] " و " فضحكوا معاً ، وإذا بعلي عبد الرحيم يغير لهجته ويتساءل حاداً[4] " و " فقال الرجل في لهجة لا تخلو من جفاف[5] " و " أما عائشة فإنها عندما دعتها خديجة إلى شهود الدخلة الصامتة هزت رأسها عجباً وقالت بلهجة عصبية[6] " تستخدم هنا كلمة لهجة في الأمثلة المذكورة بمعنى سلوك صوتي، أو الطريقة المستخدمة في القول ، ومن هنا يكون الربط بين الشخص القائل وتفاعله مع الموقف ، فيكون دالاً على حالته وموقفه .

وتستخدم كلمة نغمة في الإطار نفسه ليصف بها السلوك الصوتي ، ليدل بها على الحالة النفسية الخاصة بالمتكلم ، وقد وردت في أعمال نجيب محفوظ الثلاثة المذكورين أقل من ورود كلمتي نبرة ، ولهجة ، وتقريباً الكلمات الثلاث بمعنى واحد ، وبخاصة في السياقات ذات الدلالة الخاصة بالسمات الصوتية ، ويستخدمها كالآتي :

" فقالت نعيمة في نغمة ساخرة[7] " و " فضحك كمال ضحكة تحمل نغمة جديدة وقال[8] " و " وساد الصمت مرة أخرى كاللازمة بين النغمة والنغمة ، ثم قالت[9] " .

هذه الأمثلة تؤكد استعمال كلمة نغمة واصفة سلوكاً صوتياً معيناً يتناسب مع حالة المتكلم.

ويستخدم أيضاً كلمة صوت متبوعة بصفة معينة ليبين سمات الصوت المستخدم ودلالته ، ومن ذلك الأمثلة التالية :

---

(1) السابق ص١٩ .
(2) السابق ص٦١ .
(3) السابق ص٨٨ .
(4) السابق ص١٤٥ .
(5) السابق ص١٦٨ .
(6) السابق ص٢٧٦ .
(7) السابق ص٦ .
(8) السابق ص١٩٢ .
(9) السابق ص٢٦٥ .

" وسـأله سـليمان بصـوت متهدج[1] " و " فقال بصوت منخفض[2] " و " وإذا بحماتـه تبعـته قائلـة وهي تقهقه بصوت داعر[3] " و " وقالت بصوت مبحوح[4] " و "فتسـاءل جـلال بصـوت ضعيف[5] " و "بصوت مضطرب[6] " و " فقال عبد المنعم بصـوت قوي غاضب[7] " و " فجاءه صوت ناعم مضطرب النبرة يقول[8] " و " فجاء الصوت الرقيق[9] " .

كل هذه الأمثلة لها دلالتها داخل السياق ، فكل الصفات التي وصف بها الصوت تسـتخدم دالة على الحالات الخاصة بالمتكلم ، فهذه الاستعمالات المستقاة من المجتمع يكسـبها المؤلـف دلالة فنية ليعبر عن صفات شخوص الرواية ، ودالة داخل سياقات نصوص الرواية أيضاً .

ولم يقف عند هذا فقط بل يستخدم صفات أخرى لقول من مثل قوله : " فقال بلين وخـوف[10] " ، ويصف القول باللين والخوف ليقرر أن السمات الصوتية التي خرجت من هذا المتكلم في هذا السياق تؤكد على حالته النفسية التي هو عليها في هذا السياق.

وفي الصفحات التالية على الإشارات الدالة على الانتماء إلى مجتمع معين .

[ج] الإشارات الدالة على الانتساب إلى جماعة معينة:

قلـنا سابقاً إن التواصل هو تنظيم وتقييس لنظام ثقافي في نمط من السلوك الذي يـبقي ويضـبط ويصـنع العلاقـات الإنسانية الممكنة ، كما أن البشر يكتسبون الثقافة والتواصـل معاً ، فلا يوجد واحد منهما دون الآخر ، فطرق التفكير والشعور والسلوك

---

(1) الحرافيش ص١٣٦ .
(2) السابق ص١٩٥ .
(3) السابق ص٢٣٠ .
(4) السابق ص٤٣٧ .
(5) السابق ص٤٥٥ .
(6) السابق ص٨٧ .
(7) السابق ص١١٨ .
(8) الحرافيش ص٢٧٢ .
(9) السكرية ص١١٥ .
(10) الحرافيش ص٨١ .

المشـــترك داخل أية ثقافة يكون من خلال رموز تواصلية يشترك فيها أفراد المجتمع ، وبفضـــل هـــذا السلوك الرمزي أو الإشاري يستطيع هؤلاء الأفراد التواصل والتفاعل فيشـــعرون بـــأنهم يكونون كياناً مميزاً يسمى مجتمعاً وإن التواصل جزء مهم في حياة الإنسان ، فهو ميزة يكتسبها الإنسان منذ طفولته من خلال مجتمعه ، والتواصل بأنواعه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع في ممارسته؛ ذلك لأنه نشأ في أحضان المجتمع ، ووجد بكـــل أنواعـــه عـــندما أحس الإنسان بالحاجة إلى التفاهم ، والإنسان لا يتواصل بلسانه وأعضـــاء الجهـــاز الصوتي الأخرى فقط ، وإنما يتوصل بأعضاء جسمه أيضاً ، فهو يومـــئ برأسه ويغمز بعينيه ويرمز بشفتيه ويشير بأصابعه ، وهذه الإشارات المصاحبة للكـــلام تقـــوم بتأكيد دلالات هذا الكلام من ناحية ، أو إكمال ما يعتورها من نقص من ناحـــية ثانـــية، ومن هنا تتمثل أهمية لغة الإشارات الجسيمة في نقل الأفكار والمشاعر والآراء والعواطف[1] .

وقـــبل أن يفطن الأوربيون إلى هذا فطن العرب إلى ذلك ، ومنهم الجاحظ الذي وعـــى لعملية التواصل ، وحدده في خمس وسائل ، يقول : " وجميع أصناف الدلالات علـــى المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد ، أولها : اللفظ ، ثم الإشـــارة ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال ، وتسمي . النصبة وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات[2] " .

هـــنا قســـم الجـــاحظ الدلالات على المعاني إلى قسمين : لفظي وغير لفظي ، ونلاحـــظ أنه وضع الإشارة ضمن وسائل التواصل ، وتكون " الإشارة : باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب ، إذا تباعد الشخصان ، وبالثوب وبالسيف . وقد يتهدد رافع السـوط والسيف فيكون ذلك زاخراً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً . والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط[3] ؟ " .

والإشارات الجسمية كما يذكر بلومفيلد إنها تصاحب كل الكلام ، كما أنها تخضع إلـــى تواضع المجتمع عليها ولذا فهي تختلف من مجتمع لآخر ، كما يرى أن استعمال

---

(1) انظر تفاصيل أكثر في كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٠م ص٨ .

(2) الجاحظ : البيان والتبيين ٧٦/١ .

(3) السابق ٧٧/١ ، وانظر عرضاً مفصلاً في مقال د . فاطمة محجوب ١٩٧٥م ص٣٣، ٣٤ .

الإيطاليين للإشارات الجسمية أكثر من استعمال الإنجليز ، ويقول بأنه في حضارتهم البشر يستعملون الإشارات أقل[1] .

وما يهمنا ما قاله بلومفيلد من أن الإشارات الجسمية تخضع إلى تواضع المجتمع مثلها مثل اللغة تماماً ، ومثلها مثل السمات الصوتية المصاحبة للكلام تستمد من دلالتها من المجتمع الذي يقنن كل وسائل التواصل ، وإذا كان كل مجتمع لغة ، هذه اللغة لها عدد من الوحدات الصوتية ، فإنه أيضاً في كل مجتمع حركات جسمية معينة يرتضيها المجتمع ويحملها دلالات معينة يتواضع عليها ، وأيضاً كل مجتمع يُحمّل السمات الصوتية المصاحبة الكلام بعض المعاني التي يتواضع عليها، وبالتالي فإن عمليات التواصل بكل وسائله في المجتمع تخضع لتواضع المجتمع الذي يحملها معاني مختلفة .

والسمات الصوتية يمكن أن تبين طبقة المتكلم الاجتماعية التي نشأ فيها أهي طبقة غنية أم وسطى أم فقيرة ، وكذلك وظيفته ، ولعل ما يراه برنشتاين من أن اللغة في عملية اكتسابها تختلف من فرد لآخر من طبقة لأخرى ، بسبب أن أبناء الطبقة الوسطى تسود لديهم لغة تتصف من حيث الشكل بالغنى والتنوع ، وذلك بالقياس إلى اللغة التي تسود الطبقات الشعبية ، بسبب أن الأسرة المتوسطة تنظر إلى الطفل بوصفه فرداً ، وتتعامل معه كما هو ، وتستخدم بنى لغوية مختلفة من أجل تعزيز الطفل بوصفه فرداً ، وتتعامل معه كما هو وتستخدم بنى لغوية مختلفة من أجل تعزيز النزعة الفردية لديه أما في الطبقات الشعبية فالبنى اللغوية الخاصة بهم لغة محددة ، وتقوم على منظومة من العبارات المختصرة التي تأخذ شكل تأكيدات قاطعة[2].

ومن هنا تختلف سلوكيات التواصل من طبقة لأخرى ، لأن هناك اختلاف ثقافي بين كل طبقة وأخرى .

وسوف نحاول أن نحلل ظاهرة السمات الصوتية المصاحبة للأداء الكلامي[3] في كل من بيئة الحرافيش بيئة الطبقة الشعبية وبيئة السكرية الطبقة الوسطى لنرى هل هناك اختلاف بين البيئتين أم لا .

---

(1) Bloomfield , L , 1962 , p . 39 .

(2) انظر تفاصيل أكثر في بحثه التالي Bernstein , B , 1972 , pp . 157-177 وانظر بحث د. على وطفه ١٩٩٤ ص٢٣ ، ٣٨ .

(3) لقد فطن العرب إلى تأثير السمات الصوتية كحسن الصوت وغيرها من السمات الصوتية التابعة لأداء الكلام ، ومن ذلك ما يرويه الأبشيهي في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف من أن-

نجـد في بيئة الحرافيش استخدامات صوتية مميزة كاستخدام الصوت الغليظ ، وارتفاع الصوت، وكذلك كثرة الصياح والصراخ ، والزمجرة ، ومن أمثلة ذلك الآتي :

يستخدم رفع الصوت مع الغلظة ، ومن ذلك : " فرفع صوته الأجش متسائلاً ؟:

- ماذا تنتظر يا معلم درويش ؟

فلكزه درويش في صدره وهمس بحنق :

- أخفض صوتك يا بغل[1] "

طبعاً مثل هذه السلوكيات مرتبطة بالبيئات الشعبية ، ليس فقط بسلوكها الصوتي في رفع الصوت ، ولكن أيضاً في الشتيمة الحاصلة : " أخفض صوتك يا بغل " .

ومن ذلك القول بغلظة ، يقول : " ماذا جاء بك يا عاشور ؟

فقال بغلظة :

- إنك خبيث وشرير وتعرف كل شئ[2] ".

=بعض أهل التفسير يقولون بأن قوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ سورة فاطر: الآية[١] ، يعنـي الصوت الحسن ، كما يقول بان النبي ﷺ قال لأبي موسى الأشعري ﷺ لما أعجبه حسن صـوته : " لقـد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود " ، ويقول أيضاً بأنه حكى أن البعلبكي مؤذن المنصـور رجع في آذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الإبريق مـن يدها ، فقال له المنصور : خذ هذه الجارية فهي لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع . انظر ٥١٢ و ٥١٣ من كتابه ، والجاحظ كان أكثر تفصيلاً حيث يشير إلى أن " العرب تجعل الحديث والبسط والتأنـيس والتلقـي بالبشر من حقوق القِرى ، ومن تمام الإكرام . وقالوا : تمام الضيافة الطلاقة عـند أول وهلـة ، وإطالة الحديث عند المواكلة " البيات والتبيين ١١/١ ، كما يشير إلى العادات الصـوتية المحبـبة عند الجماعة العربية والمحبب وجودها في الخطيب ، يقول الجاحظ : " كان جعفـر بـن يحـيى البرمكي أنطق الإنسان قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة ، وإفهاماً يغنيه عن الإعادة ، ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة ، لاستغنى جعفر عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة وقال مرة : ما رأيت أحداً لا يتحبس ، ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح ، ولا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه ، أشد اقـتدراً ولا أقـل تكلفـاً من جعفر بن يحيى " البيان والتبيين ١٠٦/١ هو يريد أن يقول إن الأداء الكلامي لجعفر أداء جيد لما فيه من الهدوء والتمهل ، ولما يمتلكه من قدرات بلاغية .

(١) الحرافيش ص١٦ .

(٢) السابق ص٤٩ .

وأيضـــاً هـــناك سمة أخرى نجدها في البيئة الشعبية ، وهي الزمجرة ، يقول : " فـــانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور ونحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي .....

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض[1] ... " .

والزمجرة هي كما يقول صاحب لسان العرب : " ويقال للرجل إذا كثر الصخب والصياح والزجر سمعت لفلان زمجرة[2] " ، فهذه السمة تكثر في البيئات الأقل ثقافة .

ومـــن ذلك الصياح بصوت عالى ، يقول : " وصاح بصوته الأجش الباكي : يا هوه ! .. يا أهل الله ..

.....

وبصوت كالرعد صاح :

- يا درويش[3] ! " .

انظـــر إلـــى تعبـــير وبصوت كالرعد صاح الذي يحمل معاني مرتبطة بالقوة والفتونة الموجودة في الأحياء الشعبية، فهذه سلوكيات صوتية مرتبطة بالبيئات الشعبية.

ومـــن ذلـــك أيضاً كما يصفه محفوظ من خلال البيئة الشعبية ، يقول : " وراح يغني بصوت كالنهيق[4] " .

وكذلك : " فقال بصوت جهوري[5] " .

وأيضاً : " وتلوث قائمة مثل لسان من لهب وصرخت في وجهه :

اقطع لسانك القذر[6] " .

---

(1) السابق ص٥٠ .

(2) لسان العرب مادة " زمجرة " .

(3) الحرافيش ص٦٨ ، ٦٩ .

(4) السابق ص٣٨٤ .

(5) السابق ص٥٥٧ .

(6) السابق ص١٨٩ .

كـل هـذه السـلوكيات مرتبطة تماماً بالبيئات الشعبية ، ومن ذلك أيضاً " فقال عاشور بصوت لا حياء فيه :

عظيم[1] ! " .

هـذه السمات الصوتية لا نجدها نفسها في الطبقى الوسطى ، وإنما نجد تنوعات أخرى لهذه السلوكيات الصوتية ، لأن لكل طبقة عدداً من السمات الخاصة بأدب الحديث ، ورواية السكرية سنجد فيها هذه السمات .

رأيـنا في [أ] أن عبد المنعم إبراهيم شوكت يطغي عليه المؤلف عدداً من سمات قوة الشخصية ، ومنها السمات الصوتية ، إلا أنه لا يصل إلى حالة الزمجرة والصراخ والصـوت الذي لا حياء فيه ، فقد كان المؤلف واعياً في وصف السمات الصوتية لهذه الطبقة، فهو يصف عبد المنعم بأقوال مثل: " فقال عبد المنعم شوكت بصوته القوي[2] "، و " فقـال عـبد المنعم بصوته اليقين[3] " و " فقال عبد المنعم بصوت قوي شديد الثقة بنفسه[4] " ، حتى في حالة الغضب يقول : " فقال عبد المنعم بصوت قوي غاضب[5] " .

إن هـذه السمات الصوتية مرتبطة بالطبقة الوسطى، وكذلك الأمثلة الأخرى من مثل:"فقال بصوت رقيق[6] " و " فجاء الصوت الرقيق يقول[7] " .

وفي حالة الغضب تكون السمات الصوتية مختلفة أيضاً عن حالة البيئات الشعبية ، فهنا في السكرية حيث الطبقى الوسطى تكون السمات الصوتية كما في الأمثلة الآتية :

" فكانـت تقول لها بصوت ينم عن الضجر[8] " و " فقالت عائشة بامتعاض[9] " و"قال كمال بصوت حزين[10] " و " إذا بعلي عبد الرحيم يقول رافعاً صوته إلى درجـة

---

(1) السابق ص٥٥١ .
(2) السكرية ص٢٨ .
(3) السابق ص٣٣ .
(4) السابق ص٧٧ .
(5) السابق ص١١٨ .
(6) السابق ص٨٧ .
(7) السابق ص١١٥ .
(8) السابق ص٧ .
(9) السابق ص٨ .
(10) السابق ص٥٣ .

جديدة منذرة بتغير مجرى الحديث[1] " و " فقال كمال فيما يشبه الضجر[2] " .

هكـذا يكون التعبير عن الغضب بسلوك صوتي إلى حد كبير خالٍ من الصراخ والزمجرة وغيرها من السمات الصوتية الخاصة بسلوكيات البيئات الشعبية .

وأود أن أشير إلى سمة أخرى تحدد من خلال المجتمع ، وهي السمات الصوتية الخاصة الجائزة للمرأة ، والسمات الصوتية الخاصة بالمرأة ، والإسلام قد اهتم بتهذيب سـلوك الرجل – كما أشرنا سابقاً – وبتهذيب سلوك المرأة فقال تعالى : ﴿ **فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً** ﴾[3] ، ويفسر أبو حيان هذه الآية قـائلاً : " فـلا تخضـعن بـالقول أي لا تجبن بقولكن خاضعاً أي ليناً خنثاً مثل كلام المريبات والمومسات ، فيطمع الذي في قلبه مرض أي ريبة وفجور ، .....

قال ابن عباس : يندب للمرأة إذا خالطت الرجال الجانب بالغلظة في القول من غير رفع الصوت ... [4]" .

فخفـوت صوت المرأة ورقته شئ ممدوح في الثقافة العربية ، وسنجد هذا في عدد من الأمثلة عند نجيب محفوظ ومن ذلك الآتي :

يقول : " وإذا بالصوت الرفيع يعلو[5] " ، وكذلك " فهمست :

– لا شئ في الوجود عبث ..

.....

وهمست[6] " .

والهمـس بمعنى الخفي من الصوت أو الكلام الخفي ، والهمس يأتي من المرأة والرجل ولكن له دلالات متنوعة منها القرب والمحبة وغيرهما .

---

(1) السابق ص٤٢ .

(2) السابق ص٣١ .

(3) سورة الأحزاب : الآية [٣٢] .

(4) أبو حيان : البحر المحيط ٢٢٩/٧ .

(5) الشحاذ ص٨٧ .

(6) السابق ص١٧٠ .

ويأتي منها الصراخ من المرأة والرجل ، وبخاصة في الطبقات الدنيا ، والأمثلة عديدة وسوف نقدمها في الصفحات القادمة إن شاء الله . أما الولولة فتأتي من المرأة ، ومن ذلك ما أظهره محفوظ في الحرافيش ، انظر إلى الحوار الآتي :

" وتدخلت العجوز وقالت :

- ألم أقل لك إن قلبه أسود ؟ !

فنهرها قائلاً :

- اقطعي لسانك القذر ...

فولولت العجوز[1] .

وأيضاً : " وتمتم مجاهد إبراهيم :

- أي قدر يعبث بأب ووحيده ..

فولولت عفيفة هاتفة :

- إنه الشيطان ... " [2].

إنه حقا كما يقول هايمز عن السلوك اللغوي يتأثر بالطبقة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد ، وبسنه ، ومهنته ودينه وكذلك درجة تعليمه وجنسه[3] ، وهذه الظاهرة التي نحن أمامها ترتبط بكل ذلك ، فالولولة الموجودة عند نساء الحرافيش التي تمثل الطبقة الدنيا[4] لا تجدها بهذا الشكل عند الطبقة العليا ، والولولة من العجوز لا تكون عند الصغيرات في البيئة نفسها ، ولا تأتي من الرجال في البيئة نفسها .

([1]) الحرافيش ص٢٣٢ .

([2]) السابق ص٤٥٤ .

([3]) Hymes , D , 1974 , 154 - 156 .

([4]) تناولت د . ليلى الصاوي في بحثها : لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجتمع المصري ، تناولت الارتباط بين اللغة وجنس المتحدث ، وخلصت منها إلى وجود اختلاف ليس فقط على جنس المتحدث وإنما على درجة تعليم الأشخاص الجنس نفسه ، وكذلك اختلاق مفردات الحديث باختلاف جنس المتحدث ، وارتباط المكانة الاجتماعية للغة الحديث بجنس المتكلم ، وعرضت لعدد من التعبيرات المميزة للنساء الشعبيات التقليديات ، مثل التعبيرات الدالة على تمسكهن بالإيمان بالغيبيات من مثل " محروس ومصان " و " حوش يا رب " و" اخزى العين "،=

وهناك ظاهرة التنغيم وهو من الوحدات الصوتية فوق التركيبية ويصاحب نطقنا للجمـــل والكلمـــات ، وهو بمعنى ارتفاع أو انخفاض في درجة الصوت الحادث بسبب التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين ومن خلال ذلك يحدث نغم موسيقى ، هذا النغم الموسيقى في نظام اللغة له دلالته[١] .

وهـــناك خـــلاف حـــول وجود التنغيم أم لا في العربية قديماً ، إلا أنه مقرر أن اللهجـــات العربية الحديثة ومنها العامية المصرية يوجد فيها التنغيم ، لكن لا يمكننا أن نعـــتمد على ما ذكره محفوظ في روايته نظراً لاحتياجنا إلى سماع النطق ، لكن هناك بعـــض الإشـــارات داخل الروايات من مثل قوله : " فأجابه عبد المنعم إبراهيم شوكت بصوته القوي المفعم بنبرات التوكيد[٢] " ، لكن لا يمكن الاعتماد على ما قاله محفوظ ، لكننا نؤكد أن التنغيم يظهر موسيقى كلامية على مستوى الجملة، وبخاصة في اللهجات، هذه الموسيقى لها دلالتها .

وانـــتقل إلى نقطة مهمة ومرتبطة دلاليا بثقافة المجتمع ، وهي الصمت أو عدم التصـــويت ، فـــإذا كنا قد ذكرنا أن السمات الصوتية تحمل دلالات فإن الصمت أيضاً يحمـــل كثـــيراً مـــن الدلالات المختلفة ، ولهذا اعتبره المهتمون بدراسة التواصل غير اللغوي شكلاً من أشكال التواصل[٣] ، وهذا الصمت تختلف دلالته من ثقافة إلى أخرى ،

=وكذلـــك التعبيرات الدالة على الضعف والحيلة مثل " الله يسترك " و " ربنا ما يغلب لك ولية " ، وأيضـــاً التعبـــيرات الخاصـــة برثاء الموتى مثل " يا خويا " و " يا جملي " ، وتعبيرات التعاطف والحـــنان مـــثل " يا دلعدي " و " يا روحي / يا روح قلبي / يا روح أمك " والتعبيرات الدالة على العـــنف والعدوانية مثل " يا إبرة مصدية على الكوم مرمية " و " اللي ما تتسماش " ، انظر بحثها ٢٠٠٢ م ص٥٣ - ٧٨ .

(١) تحـــت عـــنوان التنغيم هل هو ظاهرة كلية ، وضع بحثه اللغوي بولنجر D . Bolinger جمع فيه عـــدداً مـــن أراء اللغويين جيلسون وبيك وغيرهما من اللغويين المؤكدين أو المبرهنين على فكرة التشـــابه فـــي التنغيم كملكة كلية جامعة، ومنهم من قال بأن كل لغة تملك كلمات .... ، وعلامات متضـــمنة بـــنى صوتية وقابلة للاستعمال كجملة مركبة من عناصر من التنغيم ، وقال بولنجر إن عـــدداً مـــن اللغـــات يبلغ ١٧٥ لغة تستخدم نغماً للاستفهام P. 837 ، لكنه في P.838 يرى أن اللغـــات ككـــل ليس بينها اشتراك واضح في التنغيمات مثلما في أنظمة الوحدات الصوتية . انظر بحثه Bolinger ,D,1964 .

(٢) السكرية ص٢٩ .

(٣) انظر كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٢م ص١٠٦ .

وفـــي الـــثقافة العربية الإسلامية ، السكوت جُعل علامة للرضا عند البكر في عرض الـــزواج عليها ، وعند بعض القبائل الإسترالية التي تحظر على الأرامل أن يتكلمن بعد وفاة أزواجهن لمدة معينة تبدأ من شهر وقد تطول إلى اثنى عشر شهراً يتخاطبن خلالها بأصابعهن وأيديهن[1] .

وفي باب الصمت من كتابه البيان والتبيين يروي لنا الجاحظ عدداً من المأثورات التـــي تصـــور رؤية العرب للصمت ، ومن ذلك أن أعرابياً كان يجالس الشعبي يطيل الصمت فسئل عن طول الصمت فقال : اسمع فأعلم ، واسكت فأسلم . وقالوا : لو كان الكـــلام من فضه لكان السكوت من ذلك . وقالوا : مقتل المرء بين لحييه وفكيه ، وقال النبـــي ﷺ : " وهـــل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم[2] " ، ويروى في موضع آخر ، يقول الشاعر[3] :

والصمت أجمل بالفتى ما لم يكن عن يشينه

والقـــول ذو خطل إذا ما لم يكن لب يعنيه

هكذا صورة الصمت ، أو السكوت في الثقافة العربية ، وفي السطور التالية نقدم تحليلاً نحاول أن نتبين منه دلالات الصمت في مادة البحث .

فـــي حـــوار بيـــن عاشور ودرويش ، : " تبادلا نظرة طويلة مرة أخرى تجلى التخاذل في عيني درويش ، فقال ملاينا :

- ما أريد إلا أن تجود علىّ مثل الآخرين ..

- ولا مليم لأمثالك ..

وساد صمت فرجع عاشور يتساءل[4] " .

الصـــمت هنا له دلالة تشير لوجود تفكر في اتخاذ القرار ، وخوف درويش من عاشور .

---

(1) السابق ص١٠٨ .

(2) انظر تفصيلات أكثر في باب الصمت في كتاب البيان والتبيين للجاحظ .

(3) السابق ١/٥ .

(4) الحرافيش ص٧٦ .

وعلى هذه الشكل الكثير من الشواهد ، ومن ذلك الصمت الذي ساد بين محمود قطائف شيخ الحارة وعاشور فتوتها ، يقول عاشور : " ألثمة شك في ملكيتي لها ؟

- معاذ الله ولكنها الأوامر !

فقال بحدة بصوته الخشن :

- أريد أن أعرف ما تعنيه أوامرك ؟

فقال محمود قطائف بصوت منخفض :

- اغتصبت بعض دور الهالكين في الأحياء المجاورة !

وغـرقا معـاً فـي صـمت ثقـيل مشحون بالتوجس والريبة حتى رفع عاشور صوته[1]".

هذا الصمت دلالته مكشوف عنها ، وهي التوجس والريبة والخوف ، وانظر إلى الصمت الذي في المثال التالي عقب فوز شمس الدين الفتوة الجديد على غسان ، "ويقف شـمس الديـن لاهـثا غارقا في العرق ، ويغلب صمت الذهول ، حتى يمضى شعلان الأعور إليه بملابسه وهو يقول :

- نعم الفتى .. ونعم الفتوة[2] " .

إنـه بالفعل صمت الهول ،فالكل لم يكن يتصور أن شمس الدين بهذه القوة التي تجعله يتفوق على منافسه غسان ، ويطرحه أرضاً .

وفي حوار طويل بتكرار الصمت ، هذا الحوار بين شيخ الحارة محمود قطائف وشـمس الديـن الفتوة، يبلغ فيه شيخ الحارة الفتوة بأن الوجهاء يرفضون دفع الإتاوة ، يقول : " فقال [سليمان] بغضب :

- إنهم يأبون إلا الرفعة والدونية للآخرين .

فصمت محمود قطائف مليا ثم قال :

- من حقهم أن يطالبوا باحترام يكافئ أعمالهم .

---

(1) السابق ص٨٠ .

(2) السابق ص١٠٤ .

- لولا أبي ما انتفع بأموالهم أحد، انظر إلى نظرائهم في الحارات الأخرى ماذا يفعلون!

فلاذ شيخ الحارة بالصمت مرة أخرى ، بدا متردداً ، قالت فلة :

- تكلم ، ما على الرسول إلا البلاغ .

.....

اختفى محمود قطائف تاركاً خلفه رائحة تبغ وعرق . وترك صمتاً تتلاقى فيه النظرات وتتباعد . وثمة تناحر بين الفتى وأمه . بين الفتى وغرائزه[1] " .

إن دلالات متنوعة بدت لنا من الصمت في هذا النص ، فالصمت الأول كان من محمود قطائف نتيجة خوفه من غضب الفتوة شمس الدين، وكان الصمت الثاني من قطائف أيضاً الذي لاذ في الصمت ، ولهذا دلالة الخوف وعدم القدرة على الكلام رداً على ما قاله شمس الدين ، أما الصمت الثالث فكان من قبل الفتوة وأمه ، ودلالته قوية على الحيرة والتفكير في الأمر ملياً .

وهناك صمت دلالته أخرى مثل الصمت التالي : " وتصاب فلة بحمى . تتدهور صحتها ولا تنفع معها وصفات العطار . وترنو إليه صامتة ، وتعجز حتى عن البكاء ، وتسلم الروح في جوف الليل[2] " .

إنها ترنو إليه صامتة ، انظر إلى هذا التعبير الدال ، فقد حمل الصمت هنا عدم القدرة على الكلام ، وصمت العبرة أيضاً ، أو صمت العجز .

وهناك دلالة أخرى للصمت في الحوار الذي دار بين شيخ الحارة وزوجة سماحة الهارب ، " ومر بها شيخ الحارة فسألها عن زوجها ، ماذا أقعده في البيت ، فقالت بوجوم :

- سافر إلى الصعيد ..

فدهش الرجل وقال :

- أمس قابلته فلم يخبرني بشئ

([1]) الحرافيش ص١١٩ ، ١٢١ .

([2]) السابق ص١٢٨ .

فقالت باستسلام :

- سافر !

.....

متى يرجع ؟

فلاذت بصمت واجم[1] " .

دلالة الصمت الواجم هي الخوف من إفشاء سر زوجها ، فلو يعرف شيخ الحارة سره لكان ذلك شراً لهم .

وهنا دلالة أخرى للصمت واضحة في هذا الحوار التالي " وكان يمر أمام البوظة في جوف الليل عندما رأى شبحاً مترنحاً عرف فيه أباه عبد ربه . تأبط ذراعه فتسائل الرجل :

- من ؟

- جلال يا أبي ..

وصمت السكران قليلاً ثم قال :

- إني خجلان يا بني[2] .. " .

حقا إنه صمت يدل على الخجل والحياء مِنْ مَنْ ؟ خجل وحياء الأب من ابنه .

وهناك دلالة أخرى للصمت تتضح من الحوار التالي : " وتدافعت الأحداث مثل زبد النهر الأغبر . ولاحظ شمس الدين ذات صباح وهو يحتسي قهوته في بيته قلقا أسود يلف عفيفة ونور الصباح فخفق قلبه وتساءل :

- سماحة ؟

فتلقى صمتاً مريباً ضاعف من أحزانه فسأل بحدة :

- ما الجديد من متاعبه ؟

---

(1) السابق ص٢٤٠ .

(2) السابق ص٣٩٩ .

- ليس في البيت ..

- رجع إلى التسلل ؟

- بل غادرنا !

- هرب[1] " .

إن الصمت هنا له دلالة الحزن وخيبة الأمل خيبة والرجاء .

كمـــا أن الصمت تتعدد دلالته كما في الحوار التالي " ولكن غيبة سماحة لم تدم كما دامت من قبل غيبة عاشور أو قرة . رجع إلى الحارة ذات يوم وقد بلغ رشده .

بلغ رشده ولكنه فقد أشياء ثمينة لا تعوض ... حتى أبوه لم يعرفه لأول وهلة .

ولمـــا اكتشف حقيقته واجتاحته موجه من السرور والأسى ... وتنحى به جانباً وسأله بإشفاق :

- ماذا فعلت بنفسك ؟

وجعل يرددها والآخر صامت مستغنيا بمنظره عن أي بيان[2] " .

فالصـــمت هـــنا دلالته الاستغناء بالسياق والمنظر عن الكلام ، فالكلام ربما لا يكون دالاً مثلما الحال .

وإذا كان الصمت تتعدد دلالته في البيئات الشعبية [الحرافيش] فهو أيضاً تتعدد دلالـــته فـــي الطـــبقة الوسطى [السكرية] ، والأمثلة التالية تؤكد ذلك : " وتشبع الجو بالحمـــاس والحرارة ، وتعب المشرفون على الحفل حتى نشروا السكون في الأركان ، كـــي يسمع الناس المقرئ وهو يتلو ما تيسر من القرآن مردداً فيما يتلو ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَـــرِّضِ الْمُؤْمِنِيـــنَ عَلَـــى الْقِتَالِ** ﴾ ، وكان الناس ينتظرون هذا النداء فتعالى الهتاف والتصفيق حتى احتج بعض المتزمتين وطالبوا بالصمت احتراما لكتاب الله[3] " .

---

(1) السابق ص٤٦٥ .

(2) السابق ص٤٦٧ .

(3) السكرية ص٣٧ .

وهـــنا دلالة الصمت محددة باحترام كلام الله والتفكر فيه ، ودلالة الصمت في الحـــوار التالـــي جديدة في سياقها إذ يتكلم كمال ورياض قلدس [المسيحي] في مشكلة الأقباط والمسلمين ، يقول كمال : " اسمع ، لماذا لا تعالج ذلك في قصصك ؟

- مشكلة الأقباط والمسلمين ...

فصمت رياض قلدس ملياً ، ثم قال :

- أخاف سوء الفهم ..

ثم مستطرداً بعد فترة صمت أخرى :

- ثم لا تنسى أننا رغم كل شئ في عصرنا الذهبي[1] " .

دلالـــة الصـــمت الأول دلالته التعجب من طلب كمال ، أما الصمت الثاني من رياض أيضا دلالة على تفكره فيما يقول .

وهناك دلالة للصمت أخرى تتضح من الحوار التالي بين أحمد وعلوية التي يريد أحمد خطبتها فيعرض لها إمكانياته : " سأجد بعد تخرجي عملاً ..

ثم بعد لحظات من الصمت :

- وسيكون لي يوماً دخل لا بأس به !

فتمتمت في حياء :

- كلام عام ..

فقال وهو يداري ألمه بالهدوء :

- سيكون المرتب في الحدود المعروفة ، أما الدخل فحوالي عشرة جنيهات ..

وساد الصمت . لعلها تزن الأمور وتفكر[2] "

الصـــمت الأول دلالـــته التحرج من الكلام في هذا السياق ، أما الصمت الثاني فدلالته التفكر .

---

(1) السابق ص١٤٩ ، ١٥٠ .

(2) السابق ص١٨٧ .

وانظر إلى دلالة الصمت في الحوار التالي : " ألم تفكر في اختيار الشكل الذي يناسبك من أشكاله الكتابة ؟

فصمت مفكراً كأنما أغلق عليه المعنى المقصود[1] " .

دلالة الصمت هنا هي التعجب من التساؤل . انظر أيضاً إلى النص التالي :

" وتوقفت عن المسير وابتسمت ابتسامة مرتبكة كأنما تقول آن لنا أن نفترق فبلغ به الاضطراب نهايته ، ثم مدت يدها ، فتلقاها بيده وصمت فترة رهيبة ، ثم غمغم :

- مع السلامة[2] ! .. " .

الصمت هنا يدل على الاضطراب من الافتراق وعدم موافقته عليه .

وفي الطبقة العليا كما تصور رواية الشحاذ نجد الصمت متعدد الدلالات أيضاً ، ومن ذلك الأمثلة التالية :

" ولولا الشرفة المغلقة المطلة على الميدان ما روعتهما بينٌ حين وآخر عواصف الشتاء أو انهلال المطر . واستنفدت ليالي الشتاء الأحاديث . وشملهما الصمت أوقاتاً ولكنه صمت مضمر للرضى والارتياح والطمأنينة المتبادلة "[3].

الصمت هنا دلالته الرضى والارتياح والطمأنينة التي تسود بينهما ، أما الصمت في النص التالي فله دلالة أخرى ، " وتعانقا طويلا وعمر في غاية من الانفعال ، ثم جلسا على المقعدين المتقابلين أمام المكتب ولسانه لا يتوقف عن كلمات الترحيب والتهنئة والتبريك ، والآخر يبتسم وكأنه لا يجد ما يقوله . وحل صمت قصير كرد فعل فراحا يتبادلان النظر . وتموجت المخيلة بالذكريات . وتحركت في الأعماق مشاعر غريبة منذرة بكل ظن "[4] . إنه صمت التوجس والريبة .

وهكذا تتعدد دلالات الصمت في مادة البحث ، وهي بإيجاز ، دلالة التوجس والخوف والريبة، ودلالة الذهول، ودلالة التعجب، ودلالة العجز وعدم القدرة على

---

(1) السابق ص٢٠٩ .

(2) السابق ص٢٧٥ .

(3) الشحاذ ص١٠٣ .

(4) السابق ص١٣٠ .

الكـــلام، ودلالة الخوف من إفشاء السر، ودلالة الخجل والحياء، والصمت لدلالة الحال، ودلالـــة الاحـــترام والـــتفكر فـــي كـــتاب الله أثناء قراءة القرآن الكريم ، ودلالة على الاضطراب[1] .

[٢] دلالات الأصـــوات غـــير الكلامـــية [الفضـــلات الصوتية] كالتأوه ،والصراخ ، والضحك ، والغمغمة ، والزمجرة .

إن لهـــذه الأصـــوات دلالات ، تظهـــر من خلال الانفعالات التي تحدث التأوه والضـــحك والصـــراخ وغيرهم من الأصوات التي تمثل الحالة النفسية للمصوت بهم ، ولتحليل دلالات هذه الظاهرة من خلال مادة البحث أبدأ كالآتي :

- التأوه ، ومعه آه ، واوه ، وهه .

بيـــن صاحب اللسان أن " آه : هو حكاية المتأهّه في صوته[2] " ، كما يشير أحد الباحثيـــن إلـــى أن لا خلاف بين دلالة المادة في القديم ودلالتها المعاصرة فكلاهما يفيد التوجع والحزن[3] .

وأتـــى الـــتأوه بهـــذه الدلالـــة في الحرافيش ، وهذا كان في حوار بين عاشور وزوجته عن فلة التي تعمل في البوظة ، يقول الحوار : " وما هذه الفلة التي رمانا بها درويش ؟ تجنب النظر إليها وقال بازدراء :

- فيم تسألين ؟ ، بنت تقيم في خمارة ؟

- جميلة ؟

---

(1) درس د . أحمـــد عـــارف حجـــازي دلالـــة الصمت في الحديث النبوي ، ووجد دلالاته كالآتي : الاسترســـال فـــي الفكر ، الإفهام ، وجود الوحى أثناء السؤال ، انتظار الوحي ، الشفقة والحب ، الـــرفض – الرضا والقبول ، المخالفة ، كما يشير إلى أن دلالات الصمت في الحديث اليومي تفيد دلالات متعددة ، منها :

[١] الموافقة . [٢] المخالفة . [٣] الرضا والقبول . [٤] الحياء .

[٥] التعلم . [٦] التفكير . [٧] الاحترام . [٨] الخوف .

كما يشير إلى دلالته الأساسية وهي انتهاء الكلام ، أو انتهاء الفكرة .

انظر بحث د . احمد عارف ١٩٩٤م ص١٢٦ ، ١٤٣ .

(2) لسان العرب مادة " أوه " .

(3) انظر د . محمد داود ٢٠٠٢ ص٤٧٠ .

- داعرة .

- جميلة .

.....

فقالت متأوهة :

- لن يرجعوا يا عاشور ... "[1] .

فهنا دلالة التأوه الحزن .

وتأتي[آه] أيضاً في الحوار التالي : " فقال إبراهيم شوكت وهو يشعل سيجارة:

جاءهـا الطلـق فـي الصباح الباكر ، والساعة تدور الآن في الخامسة مساء ، مسكينة ، إنها رقيقة كالخيال ، ربنا يأخذ بيدها .

ثـم وهـو يردد عينيه الخاملتين في الجالسين عامة ، وابنيه عبد المنعم وأحمد خاصة :

- آه لو تذكر الآلام التي تتحملها الأم[2] ! " .

و" آه " هنا دلالتها واقعة على الآلام التي تتحملها الأم في عملية الولادة .

وتأتي" آه " بدلالة الخوف في الحوار الذي يدور بين أحمد عبد الجواد وزوجته ، يقول السيد : " وجهك شاحب من المشي ، كلها كم يوم وتصبحين من زبائن الدكتور! ..

- ربـنا الحـافظ ، أن لا أخـرج إلا لـزيارة آل البيت، فكيف يقع لي سوء ؟ ! .. ثم متداركه :

- آه يـا سـيدي ، كدت أنسى ، يتحدثون في كل مكان عن الحرب ، يقولون إن هتلر هجم ... ! "[3] .

وآه تأتي للتوجع مع التأوه : " فتأوه الباشا قائلاً :

([1]) الحرافيش ص٤٢ .

([2]) السكرية ص١٥٤ .

([3]) السابق ص١٧٤ .

- أيـــام زمـــان ! . آه مـــن الـــزمان ! ، يا أولاد لم نكبر ؟ !! ، جلت حكمتك يا ربي وعلت[1] ! .. " .

أتى الفعل " تأوه " مع " آه " ؛ ليفيد التوجع الزائد عند المتكلم .

وتأتي [أف] بدلالة المعاناة كما في " الدنيا حر ، أف ..

- إذا لطستنا الخمر استوى لدينا الحر والبرد .. "[2] .

وتأتي [أوه] بمعنى التعجب : " أتعرف هذه المرأة ؟ .

- نعم ..

- كيف ؟

- امرأة من هاتيك النسوة ، ولعلها نستني ! ..

- أوه ، الحانات ملأى بهن ..... "[3] .

وكذلـــك في الحوار التالي : " صاحبكم جثة لا يؤثر فيها الشعر ! ، ولكنه سيبلغ قريباً فترة الحسرات حين يصير كل جميل أو إحدى أخواتها ، [ثم متلفتا إلى مهران] وأصحاب زمان يا ابن الهرمة هل نسيتهم .

- أوه ، الله يمسيهم بالخير[4] .. " . وتدل هنا على التوجع بذكرى مع صاحب .

وهناك [هه] ، يقول : " وعندما قلت لها إني توّاق إلى سماع كلمات الحب من ثغـــرها المشغول بالاشتراكية وبّختني قائلة باحتقار : " هذه النظرة البورجوازية العتيقة إلى المرأة .. هه ! ؟ "[5] .

وتأتـــي [هـــه] في النص السابق بدلالة الاستحقار والاستهزاء ، وتأتي بدلالة التعجب كما في النص التالي: " كان سفره إلى إيران آخر ما حدثني به إسماعيل لطيف عنه ! .

---

(1) السابق ص٣٠١ .

(2) السابق ص١١٣ .

(3) السابق ص١٩٣ .

(4) السابق ص٣٠٢ .

(5) السابق ص٢٦١ .

فقال حسين بكآبة :

لـــم تمكث أختى معه في هذه الرحلة إلا شهراً واحداً ، ثم عادت بمردها .. [ثم بصوت منخفض] يرحمها الله ! .

هه ؟ ! .. "[1] .

- الصـــراخ :

الصرخة هي " الصيحة الشديدة الفزع أو المصيبة ... وقيل الصراخ : الصوت الشـــديد[2] " ، ويشـــير د . داود إلـــى أنها تأخذ في الفصحى المعاصرة دلالات الدعوة الحـــارة ، والإعلان بشدة ، وبمعنى الهتاف العالي ، وبمعنى الشكوى ، وبمعنى الأفكار الجريـــئة ، وبمعـــنى الطلـــب بإلحاح ، وبمعنى النداء ، وبمعنى النقد الحاد ، وبمعنى الرفض[3] . ونقدم في السطور التالية تحليلاً لدلالة الصراخ .

يقـــول : " ضـــمه عاشور إلى صدره بقوة حتى صرخ "[4] ، وهنا بمعنى طلب النجدة من قوة ضم عاشور له ، وألمه من هذا الضم.

وبالدلالـــة نفسها في النص التالي : " فانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور نحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي ....

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض وهو يصرخ "[5] .

وهنا وردت كلمة صرخ مرتين بدلالة طلب النجدة ، والألم .

وتـــرد بدلالـــة الفزع والغضب في : " ثم رأى بكر يسد الباب مرتجفاً من شدة الغضب .

---

(1) السابق ص٣١٠ .

(2) لسان العرب مادة " صرخ " .

(3) د . محمد داود ٢٠٠٢ ص٤٧٨ ، ٤٨٠ .

(4) الحرافيش ص٢٤ .

(5) السابق ص٥٠ .

صرخ بكر :

- يا لك من وغد .

انقــض عليه كالوحش وراح يكيل له الضربات والآخر ولا يرد . دميت شفتاه وأنفه ولكنه لم يرد ، فصاح بكر :

- شلك العار

.....

- ماذا جرى لك ؟

- ألا تعرف حقا ؟

- لا أفهم شيئاً ..

فصرخ :

- تطمع في زوجة شقيقك "[1] .

وتــرد بمعنى الرفض، مثل : " فقال خضر: إذن فليؤجل المزاد لعلنا نصل إلى اتفاق .

عند ذاك صرخ بكر : كلا "[2] .

وبمعنى الاعتراض ، مثل : " ما أنت إلا امرأة قذرة تتطلع إلى عاشقها القديم ..

فصرخت :

- لقد فقدت عقلك "[3] .

فهنا بمعنى الاعتراض على السب والتطاول .

وتأتــي " صرخة " بمعنى مصيبة أو فزعة ، : " من مكان ما في مملكة الظلام انطلقت صرخة . صرخة مميزة بالفزع واليأس . سرعان ما تجسدت في صورة فريسة موءودة الفرحة . تتطلع بعينين محتجتين نحو النجم اللامع[4] " .

([1]) السابق ص١٦٨ .

([2]) السابق ص١٨٦ .

([3]) السابق ص١٨٨ .

([4]) السابق ص٢٢٠ .

وكذلك في : " عقب اختفائه بدقائق سمعت صرخة عصفت بجذور قلبها .

اندفعت من الدكان مجنونة فرأت وحيد يتمرغ في التراب مخضب الوجه بالدماء. وعن بعد ثمة غلمان يجرون فزعين ، تجاهلت مضطرة الجناة ورفعت ابنها بين يديها وهي تصوت ، ولما تفحصت وجهه صرخت بأعلى صوتها :

- ضاعت عين الولد ! "[1] .

وتأتي كلمة " صريخ " بمعنى الصوت الشديد المفزع ، : " والتحم الفريقان بضراوة ووحشية . تصادمت النبابيت ، تلاطمت الأجساد ، فرقعت الصكات ، تطايرت اللعنات تحت الرذاذ ، سألت الدماء ، استحرت الأحقاد ، أغلقت الدكاكين ، هرولت العربات ، تجمع الناس في طرفي الحارة ، اكتظت النوافذ والمشربيات علا الصريخ والعويل .. "[2] .

وأشير إلى أن الصراخ ومشتقاته يوجد بكثرة في الحرافيش ويقل في الشحاذ ، بينما لا يوجد بكثرة في السكرية ، وهذا بالفعل حقيقة فالصراخ يوجد في البيئات الشعبية ، ويقل في الوسطى ، ويندر في العليا .

- الزمجرة :

الزمجرة هي : " الصوت ، وخص بعضهم به الصوت من الجوف ، ويقال للرجل إذا أكثر الصخب والصياح والزجر : سمعت لفلان زمجرة[3] " واستعيرت إلى مجال الدلالة الكلامية بمعنى : الكلام بغضب وحدة، وربما بسوء أدب[4] .

وترد بمعنى الكلام بغضب وسوء أدب في : " فوثب عاشور وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي ..

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض وهو يصرخ :

---

(1) السابق ص٢٤٧ .

(2) السابق ص٤٧٨ .

(3) لسان العرب مادة " زمجر " .

(4) انظر د . محمد داود ٢٠٠٢ م ص٤٩٩ .

في ألف داهية .. "[1] .

وتـــرد بمعـــنى آخـــر وهو الصوت الصاخب الذي تفعله زوابع : " وتمر الأيام تزمجـــر زوابع أمشير ثم تعقبها رياح الخماسين . تتراكم السحب ثم يسفر بحر الصفاء الأزرق[2] " .

وترد بمعنى الصوت الصاخب للغضب كما في : " واستأنف الحملة عليها حتى هرع عمال إلى مدخل الحجرة وتجمهر نفر في الحارة أمام المحل .

وترامى من بعيد صوت سليمان الناجي وهو يزمجر[3] " .

وأشـــير إلـــى أن الزمجـــرة وجدت في الحرافيش [البيئة الشعبية] ولم ألاحظ وجودها في السكرية والشحاذ ، ربما لارتباط الصوت العالي الشديد في عملية التواصل بالبيئات الدنيا .

- **الغمغمة :**

تعـــرف الغمغمـــة والتغمغم بأنها : " الكلام الذي لا يبين ؛ وقيل : إنها أصوات الثيران عند الزعر ، وأصوات الأبطال في الوغى عند القتال ، قال امرؤ القيس :

وظل لثيران الصريم غمائم يداعسها بالسمهري المغلب

وفي صفة قريش ليس فيهم غمغمة قضاعة ، الغمغمة والتغمغم : كلام غير بين قاله رجل من العرب لمعاوية "[4] .

وتأتـــي كلمـــة الغمغمة[5] ومشتقاتها بكثرة في رواية الحرافيش ، وسوف نتبين دلالات الغمغمـــة مـــن خلال حدث الغمغمة في السياق الخاص بالنصوص التي نختار بعضا من الذي وردت فيه .

---

(1) الحرافيش ص٥٠ .

(2) السابق ص١٢٦ . وأشير إلى أن هذا المعنى لم يرد في الدراسة القيمة التي أعدها د . محمد داود عن الدلالة والكلام ، دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة .

(3) الحرافيش ص١٦٨ .

(4) لسان العرب: مادة [غمم] .

(5) لـــم يـــتطرق د . محمـــد داود إلى هذه الكلمة رغم أن كتابه عن الدلالة والكلام ، دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

هنا يغمغم بمعنى يتلفظ بكلام غير واضح ناتج عن الحالة النفسية التي هو فيها ، فهنا يغمغم دلالتها واضحة من سياقها .

ويقول : " وتتابعت الفصول ، وظلت التكية تشدو بالأناشيد الغامضة ، حتى جاء اليوم الموعود .

وتلفت شيخ الحارة فيما حوله وغمغم حانقا :

- ما شاء الله !

رأى الأعلام ترفرف في أعالى الدكاكين والأسطح ، رأى الكلوبات تعلق ، رأى الأرض تفرش بالركل الفاقع ، سمع موجات الأصوات وهي تهدر بتبادل التهاني . وعاد يغمغم :

- كل ذلك من أجل عودة لص من سجنه ! "[1] .

هنا يغمغم وغمغم بالدلالة السابقة ، ولكن ارتبطت بحقد من شيخ الحارة وتكرار الغمغمة هنا له دلالته الواضحة على الكراهية الزائدة من شيخ الحارة على فتوتها عاشور .

وفي النص التالي : " ونادت شمس الدين حتى فتح عينيه متذمراً . طالعها بوجهه الجميل متسائلاً ، فقالت له :

- أبوك لم يرجع من سهرته !

ولما استوعب قولها أزاح عنه الغطاء بجسمه الرشيق المائل إلى الطول وبقلق غمغم :

- ماذا حدث ؟ "[2] .

غمغم هنا بالدلالة نفسها المذكورة آنفاً ، وقد أعطت دلالة القلق والحيرة هنا .

ويلاحظ أن دلالة الغضب واضحة في النص التالي :

" ترى ماذا شهدت خمارة درويش ؟ . هل يوجد رجال يعرفون من خفايا أمه ما لا يمكن أن يعرف ؟ ! .

([1]) السابق ص٨٦ ، ٨٧ .

([2]) السابق ص٨٩ ، ٩٠ .

وغمغم بغضب :

- الويل لمن تسول له نفسه اقتحام محرابها ! "[1] .

وكذلك في النص التالي : " فغمغم بأصوات مغضوضة وجف ريقه "[2] .

وتكتسب دلالة الحيرة كما في النص التالي : " وقال الحرافيش إن أسرة الناجي أصبحت مسرح الحزن وأمثولة العبر جزاء خيانتها لعهد جدها العظيم صاحب الكرامات والبركات ...

وفي ذلك الوقت تنكر الجو في برمودة فتلبدت السماء بالغيوم على غير ميعاد ، وانهل مطر غريب ، ثم تساقط وابل من البرد ، فذهل الناس وعجبوا ، ووجفت قلوبهم ، ولكنهم غمغموا حيارى " لعله خير يا رب العالمين ! "[3] .

إنّ الغمغمـــة هنا دلالة على الحيرة التي فيها الحرافيش للأحداث الواضحة من السياق التي غمغم فيها الحرافيش .

وهكـــذا تأتي الغمغمة بمعنى أصوات أو كلام غير واضح في سياق يتضح منه الغضب أو الضرب والذعر أو الحسد أو الحيرة .

- الهمهمة :

هـــي" الكلام الخفي ، وهمهم الرجل إذا لم يبن كلامه "[4] ، ووردت في العربية المعاصرة بمعنى الكلام الخفي غير الواضح "[5] .

وترد الهمهمة في مادة البحث ، منها " فقال بعد تردد :

- عثرت على وليد تحت السور العتيق ..

وانداحت همهمة بين الرجال حتى قال أحدهم :

- اللعنة على الآثمين .. "[6] .

([1]) السابق ص١١٠ .
([2]) السابق ص١٢٣ .
([3]) السابق ص٣٨٠ .
([4]) لسان العرب مادة " همم " .
([5]) د . محمد داود ٢٠٠٢ م ص٤٩٤ .
([6]) الحرافيش ص٧ .

والهمهمـــة هي الكلام غير المفهوم ، أو تصويت غير مفهوم والهمهمة تدل هنا على الحيرة والتوجس الذي جعل الرجال يهمهمون، وبالدلالة نفسها ترد في النص التالي : " تطايـــرت التوقعات من رأس إلى رأس . سرت الهمهمة مثل الطنين . داري سعيد الفقي ابتسامة[1] " .

- **الضحك :**

ولمـــا كانـــت دلالـــة الضحك متعددة جعلتها في نهاية الأصوات غير الكلامية. والضحك هو سرور النفس ، وقد استعير ليستخدم في مجال السخرية ، ومجالات أخرى سوف نراها في النصوص التالية من مادة البحث .

فيستخدم بدلالة السخرية مثل : " فقال أحمد عبد الجواد متنهداً :

- أنا ؟ ! . يا ليت ، الزمن غير الزمن يا سلطانة ، طالما صارحتك بالحقيقة ولكن يبدو أنك لا تصدقين يا سلطانة ..

فضحكت ضحكة دارت بها خيبة أملها وقالت :

- السلطانة مفلسة ، فما العمل ؟ "[2] .

وأيضا بدلالة السخرية في النص التالي : " فقال أحمد عبد الجواد ضاحكاً :

- إذا ندمتم فاندموا على الشر لا على الخير يا أولاد الكلب ! . "[3] .

وبدلالة السخرية أيضاً : " يبدو أن قهوة أحمد عبده لا تعجبك !

فارتفع رأس إسماعيل في تطاوله المعهود ، وقال :

- إنها غريبة حقاً ، ولكن لماذا لا نختار مكانا فوق سطح الأرض ؟ !
- على أي حال هي أنسب مكان للناس المستقيمين أمثالك .

فضـــحك إسماعيل وهو يهز رأسه في تسليم ، كأنما يقر بأنه أصبح جديراً حقا بفضيلة الاستقامة ، هو الذي كان وكان[4] " .

---

(1) السابق ص١٨٥ .

(2) السكرية ص١٩ .

(3) السابق ص٤٢ .

(4) السكرية ص٤٨ ، ٤٩ .

وبدلالـــة السرور والانبساط في النص التالي : " فضحك إسماعيل ضحكة عالية أعـــادت إلى وجهه الرزين كثيراً من ملامح الماضي الماكرة[1] " ، وبالدلالة نفسها في الـــنص التالـــي : " فتساءل إبراهيم الفار : أتحسب أن الذي يستطيع أن يعرف أن جده الأول قرد يعجز عن معرفة أن أباه فاسق فاجر ؟ !

- فضحك محمد عفت عاليا حتى سعل[2] " .

وتـــتلون الضحكات بدلالات متنوعة كما في النص التالي : " وشعر لتوه بأنه ما كان ينبغي له أن يطرح هذا السؤال خشية أن يفسره الآخر بأنه استدراج إلى الكلام في خطبة نعيمة ! ، ولكن فؤاد لم يبد عليه أنه فكر في هذا ، بل ضحك ضحكة عالية وإن لم تخرج به عند حد الوقار ، وقال :

أنـــت تعلم أني لم أفسد إلا متأخراً ، لم أفسد مثلك في زمن مبكر ، فأنا لم أشبع بعد !

.....

- أنت تنظر إلى الزواج نظرة ...

فقاطعه قبل أن يكمل كلامه ضاحكاً :

خير من الذي لا يعيره نظرة على الإطلاق !

.....

إن مركزك يغنيك عن أمثال هذه المغامرات ..

- لولا هذه المغامرات ما استطاع رئيس أن يؤلف وزارته ؟ .

فضحك كمال ضحكة لا طعم لها[3] " .

فدلالة الضحك في النص السابق تتنوع ما بين السخرية والسرور والاستهجان .

وتتلون دلالة الضحك في السياقات الثقافية التي تزخر بها السكرية ، ومن ذلك : " قلت إني سأجد عملاً ، ستجدين من ناحيتك عملاً أيضاً ...

---

(1) السابق ص٥٠ .

(2) السابق ص٤٦ .

(3) السابق ص٩٩، ١٠٠ .

فضحكت ضحكة غريبة :

- كلا لن أشتغل ، لم أذهب للجامعة لأتوظف كسائر الزميلات ..

ليس العمل عيبا ..

.....

فقالت بصوت كأنما تعمدت أن يكون رقيقاً فوق العادة ك

- أستاذ أحمد ، فلنؤجل الحديث ، أعطني مهلة للتفكير ...

فضحك ضحكة فاترة "[1] .

فالضحكة الأولى التي ضحكتها علوية كانت ضحكة غريبة دلالة على الاستهجان منها لما يقوله أحمد ، أما الضحكة الثانية وهي من أحمد فقد كانت فاترة تحمل دلالة الضيق والضجر من كلام علوية . وأنا أتعمد أن استعين بالكلمة داخل سياقها الواسع حتى تكون دلالتها واضحة .

وتحمل الضحكة أحياناً معاني مهمة داخل الرواية ، ومن ذلك " فضحك ياسين ضحكته العظيمة وقال[2] " ، وياسين شخصية لها خصوصيتها في الرواية ، حيث حملت بدلالة الاستهتار وحب العبث .

وتأتي الضحكة بمعنى الرثاء كما يتضح من النص لتالي : " السلطانة في حجرة فوق السطح ! . سبحان من له الدوام . فقال على عبد الرحيم :

- نهاية محزنة ، بيد أنها كانت متوقعة .

فندت عن محمد عفت ضحكة رثاء وقال :

- فليرحم الله من يأمن إلى هذه الدنيا ! "[3] .

كما أنها تحمل دلالات أخرى في النص التالي: " من الصعب أن أوضح ، ولكنى وجدت في ديوانك بدء الطريق ..

---

(1) السابق ص١٨٧ .

(2) السابق ص٢٨٠ .

(3) السابق ص٤٨ .

وضحك ضحكة عضلية خالصة وقال :

- مؤامـــرة عائلـــية ! .. أمـــك تعرف من زمن وأطلعتك على ذلك الشئ الذي تسمينه ديواناً .. "[1] .

إن ســـخرية من نوع خاص تلك النابغة من هذه الضحكة العضلية ، وتأتي من النص التالي بنوع من السخرية الحادة أيضاً:"الدكتور حامد سأل عن الأصلع الصغير ..

ثم بعد أن سكتت عاصفة الضحك "[2] .

انظر إلى تعبير " عاصفة الضحك " المفعم بدلالة السخرية ، وأيضاً يأتى تعبير آخـــر عند نجيب محفوظ بالدلالة نفسها ، : " على أن أعيد النظر في حياتي كما فعلت أنت ..

- طالما نصحت بالمثابرة والصبر .

فبصق ضحكة خشنة وقال :

- لا فائدة من تجاهل الجماهير ! " [3] .

انظـــر إلـــى التهكم والازدراء من خلال تعبير فبصق ضحكة خشنة الموصوف بسمات بلاغية جميلة الدلالة في سياقها ، والحادة في وصفها ضحكة الرجل .

وتأتـــي كلمة يقهقه بدلالة السخرية والتهكم كما في : " وسرعان ما اعترف فيما بيـــنه وبيـــن نفسه بأنه ضاق بكل شئ ذرعا ، وأن الدنيا تبدو أحياناً كلفظة قديمة اندثر معناها .

- إنك لم ترض يوماً عن عقلي !

إسماعيل وهو يقهقه :

- أتذكر ؟ يالها من أيام ! "[4] .

([1]) الشحاذ ص٣٧ ، ٣٨ .

([2]) السابق ص١٦ .

([3]) السابق ص٤٠ .

([4]) السكرية ص٥٢ .

وتأتي بدلالة السرور والانبساط : " فقال لإسماعيل :

- أتقبل دعوتي إلى كأسين في مكان لطيف مأمون ؟

فقهقه إسماعيل قائلاً :

- إن زوجتي تنتظرني لنذهب معاً إلى زيارة خالتها .. "[1] .

وتأتي بدلالة أخرى حسب هذا السياق : " يعاملني كما لو كنت أنا الابن وهو الأب ، يحاسبني حساب الملكين .. أو يتساءل وهو يقهقه[2] " .

هنا تحمل دلالة عدم الأهمية والازدراء والغضب .

وتحمل دلالة السخرية كما في النص التالي : " عند ذاك قال حسونة السبع متهكماً :

- هناك سبب أقوى من الإفلاس .

واتجهت إليه الرءوس بكل إجلال فقهقه قائلاً :

- الجنون ! .. "[3] .

وهكذا تتعدد دلالات الضحك[4] والقهقهة في الروايات مادة البحث ، مما يجعلنا نقول إن الأصوات غير اللغوية التي يخرجها الإنسان ، والتي تسمى عند علماء اللغة بالفضلات اللغوية تحمل معاني عديدة داخل التواصل ، وتحملها كل ثقافة دلالات خاصة بها ، ومن هنا نقول إن دلالات السمات اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي تعطي دلالات واسعة في عملية التواصل .

---

(1) السابق ص٥٥ .

(2) الحرافيش ص٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(3) السابق ص٥٣٥ .

(4) في دراسته لدلالات الضحك في الحديث الشريف ذكر د . أحمد عارف أن دلالاته كالآتي : السرور والاستحسان والرضا والقبول، والتعجب ، والتعظيم ، والتصديق ، والحياء ، والغضب. انظر كتاب د . احمد عارف ص١١١ - ١٢١ .

الخاتمة

فـــي خـــتام بحثي هذا القائم على تحليل دلالات السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي في عملية التواصل في روايات الأستاذ نجيب محفوظ : ملحمة الحرافيش ، والسكرية ، والشحاذ وقد قسمت هذه الدلالات إلى قسمين :

[١] قسم نابع من أصوات تابعة للأداء الكلامي .

[٢] قسم نابع من أصوات غير كلامية كالغمغمة والصراخ والزمجرة والضحك .

في القسم الأول رأيت من خلال نصوص الروايات أن السمات الصوتية تساعد المؤلف على رسم شخصيات الرواية ، ويستغلها في إيضاح السمات الجسدية ، أي بين القوة والضعف ، وبين الرجل والمرأة ، فقد رأينا المؤلف قد عبر بالفروق الصوتية بين شخص وآخر من الجنس نفسه ، وبين الرجل والمرأة ، وأضفى على شخصياته سمات صوتية شخصية أعطت دلالات متنوعة .

كما أن السلوك الصوتي كما يتضح من خلال نصوص الروايات يرتبط بالحالة النفسية ، وكذلك بالحالة الصحية للمتكلم.

وتبيـــن الســـمات الصـــوتية الشـــبه اللغويـــة المصاحبة للأداء الكلامي الطبقة الاجتماعـــية المنتمـــي لها المتكلم التي نشأ فيها ، ومن روايات محفوظ اتضح كثير من السمات الخاصة التي ترد كثيراً في الحرافيش [البيئة الشعبية] ولا ترد في السكرية أو الشـــحاذ لارتـــباطها بالبيئة الدنيا . فسمات كالولولة عند النساء توجد في البيئة الشعبية أكثر من البيئات الأخرى .

كمـــا حللت دلالات الصمت التي وجدتها من خلال نصوص الروايات دالة على التوجس والريبة ، والتفكر ، والخوف ، والحيرة ، والعجز ، والحزن ، والاضطراب ، وعدم الموافقة .

أمـــا دلالات الأصوات غير الكلامية ، فمن خلال الروايات المذكورة وجدت أن دلالـــة الـــتأوه ، وآه هي الألم ، والخوف ، ويأتي الفعل " تأوه " مع " آه " ليفيد التوجع الزائد عند المتكلم .

وتأتـــي " أف " بدلالـــة المعاناة ، وتأتي " أوه " بمعنى التعجب ، وتأتي " هه " بمعنى الاستحقار والاستهزاء .

أمـــا الصراخ فيدل على الألم وطلب النجدة ، وبدلالة الرفض ، والاعتراض ، وللتعبير عن الفزع .

وتدل الزمجرة على الغضب ، وتدل الهمهمة على الكلام غير المفهوم لظروف يعيشها المتكلم، وتدل الغمغمة على الغضب والضجر ، وغالبا ما ترتبط بالبيئات الشعبية لكثرة المعارك فيها .

ويـــدل الضحك على السخرية ، والسرور ، والاستهجان ، ويدل على الرثاء ، والـــتهكم والازدراء ، كمـــا أن القهقهة تدل على السرور ، وعدم الأهمية، والغضب ، والسخرية ، هذه الدلالات تنبع من خلال السياقات التي حدثت فيها في الروايات الثلاث.

المصادر والمراجع

أولاً : العربية :

١- الأبشـــيهي ، شهاب لدين محمد بن أحمد : المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق د . مصطفى محمد الذهبي ، دار الحديث بالقاهرة .

٢- إبركرومبـــي ، ديفيد ١٩٨٨ : مبادئ علم الأصوات العام ، ترجمة وتعليق د . محمد فتيح ، القاهرة .

٣- د . بشـــر [كمـــال] ١٩٩١ : اللغة والثقافة ، مقال منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج٦٨ ص٢٥ - ٥٢ .

٤- الجـــاحظ ، أبـــو عثمان ، عمر بن بحر ١٩٦٩ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة الخانجي .

٥- د . حسام الدين ، كريم ١٩٩٠ : الإشارات الجسمية ، طبعة الأنجلو المصرية .

٦- ـــــــــــ ١٩٩٢ : الدلالة الصوتية ، طبعة الأنجلو المصرية .

٧- ـــــــــــ ٢٠٠١ : اللغة والثقافة ، طبعة دار غريب بالقاهرة .

٨- د . داود ، محمد محمد ٢٠٠٢ : الدلالة والكلام ، دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة ، دار غريب بالقاهرة .

٩- الـــرازي ، أبو عبد الله ، فخر الدين محمد بن عمر ١٩٨٢ : كتاب الفراسة ، تحقيق د . يوسف مراد ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٠- ١٩٨٥ : التفسير الكبير ، طبعة دار الفكر ، بيروت .

١١- د . زيادة : معن ١٩٨٦ : بين الثقافة والحضارة ، مقال منشور بمجلة الأبحاث بكلية الآداب - الجامعة الأمريكية بيروت ، ٣٤ ، ١٩٨٦ ، ص٥١ ، ٦٥ .

١٢- د . الصـــاوي ، لـــيلى ٢٠٠٢ : لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجـــتمع المصـــري . مقال منشور بكتاب : العربية أبحاث لغوية واجتماعية وتـــربوية ، تحريـــر د . الســـعيد بـــدوي و د. علاء الجبالي ، طبعة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ص٥٣ - ٨٠ .

١٣- د. عـــارف ، أحمـــد ١٩٩٤ : دراسات لغوية في الحديث النبوي ، دار حراء بالمنيا ، مصر .

١٤- د. العبد ، محمد ١٩٩٥ : العبارة والإشارة ، دراسة في نظرية الاتصال ، دار الفكر العربي بالقاهرة .

١٥- د. عمـــر ، أحمد مختار ١٩٨٥ : دراسة الصوت اللغوي، طبعة عالم الكتب ، القاهرة.

١٦- ـــــــــ ١٩٩٦ : اللغة واختلاف الجنسين ، طبعة عالم الكتب ، القاهرة .

١٧- ـــــــــ ٢٠٠١ : أنا واللغة والمجمع ، طبعة عالم الكتب ، القاهرة .

١٨- لوتمـــان : يـــوري وأوسنبسكي ، بوريس ١٩٨٦ : سيميوطيقة الثقافة ، ترجمة د. عبد المنعم تليمة ، ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة ، إشـــراف د. ســـيزا قاســـم و د . نصر حامد أبو زيد ، دار إلياس العصرية - القاهرة .

١٩- د. محجوب ، فاطمة ١٩٧٥ : اللكنة والحركة الجسمية من خلال البيان والتبيين ، مقال منشور بمجلة الثقافة ، العدد ٢١ ، ص٢٨ - ٣٤ .

٢٠- محفوظ ، نجيب : بين القصرين ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٢١- ـــــــــ : السكرية ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٢٢- ـــــــــ : الشحاذ ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٢٣- ـــــــــ : ملحمة الحرافيش ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٢٤- ابن منظور ، أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

٢٥- ورم ، س ، أ : تغـــير اللغـــات نتيجة لتغير الثقافة وانقراضها ، ترجمة أمين محمود الشريف، مقال منشور بمجلة ديوجين، العدد رقم " ٨١ " ص٣٨ - ٤٨.

٢٦- د. وطفـــة ، علـــى ١٩٩٤ : اللغة والانتماء الاجتماعي ، مقال منشور بمجلة الموقف الأدبي العدد ٢٨٢ ، ص٢٣ - ٣٨ .

ثانياً: الأجنبية:

- Alder, M,K, 1987: Sex Differences in Human Speech, Helmut Buske Verlag Hamburg .
- Allport, G.W and Cantril, 1972 : Judging Personality form Voice, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 155- 171 .
- Bernstien, B, 1972: Social Class, Language and Socialization, in Giglioli, P (ed) 1972, PP. 157 – 178 .
- Birdwhiste, R. L. 1972 : Paralanguage Twenty – Five Years after Sapir, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 82 – 100 .
- Bloomfield, L, 1962 : Language, Ruskin House, London.
- Bolinger, D, 1964 : Intonation as a Universal, in Horace, G. Lunt (ed) : Procedings of the Ninth International Congress of Linguists, PP. 833 – 848, Mouton, London – Paris.
- Crysal, D, 1971 : Prosodic and Paralinguistic Correlates of Social Categories, in Edwin Ardener (ed) 1971 : Social Anthropology and Language, PP. 185 – 205 , Tavistock Publications, London.
- Duranti, A, 1997 : Linguistic Anthropology, Cambridge.
- Eco, U, 1976: A Theory of Semiotics, Indiana Uni press.
- Firth , J. R, 1957: Papers in Linguistics 1934 – 1951, London.
- --------- 1968 : Ethnographic Analysis and Language with Reference to Malinowski Views, in Palmer, F, R, (ed) 1968. Selected Papers of J.R. Firth 1952- 1959, Longmans .
- German. C. 1972: Origne et évolution de la notion de situation de l'école linguistique de Londres, in la Linguistique 1972, Vol: 8, Face: 2, PP. 117 – 136 .
- ---------- 1973 : La notion de situation en linguistique, Uni d'ottawa, Canada.
- Goodenough, W: H, 1964: Cultural Anthropology and Linguistics, in Hymes, D (ed) : Language in Culture and Society, Harper and Row, New York. PP. 36-39 .
- Halliday, M, A,K and Hassan, R, 1985: Language, Context and Text, Deakin University.
- Hall, E, T, 1959: The Silent Language, New York.
- Haslett, B, 1989: Comunication and Language Acquistion within a Cultural Context, in Toomey, S. T and Korzenny (eds) 1989

Language Communication and Culture, Sage publications, London, PP. 19-34.
- Hass, M, R, 1964 : Men's and Women's Speech in Koasati in Hymes D (ed) 1964 : Language in Culture and Society .
- Hymes, D 1972: On Communicative Competence, in Bridge, J and Holmes, J (eds) 1972 : Sociolinguistics, Benguin Books, PP. 269 – 293 .
- -------- 1972 : Toward Ethnographies of Communication, in Giglioli, P (ed) 1972 : Languages and Social Context, Penguin, PP. 21 – 44 .
- -------- 1974 : Foundation in Sociolinguistics, University of Pennsylvania Press.
- Kluckhn, C and Kelly, W, 1985 : The Concept of Culture, in Ralph, Linton (ed) 1985 : The Science of Man in the World Crisis, New York: Columbia University Press.
- Kramer, E 1972: Judgement of Personal Characteristics and Emotions from Non- Verbal Properties of Speech, in Laver, J and Hutcheson (eds) PP. 172 – 188 .
- Laver, J 1972 : Voice Quality and Indexical Information, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 189 – 203 .
- Laver, J and Hutchesson (eds) 1972 : Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books.
- Lyons, J, 1973 : Phonemic and non – Phonemic Phonology, in Jones, W, E and Laver, J (eds) 1973 : Phonetics in Linguistics, Longman, PP. 229 – 239 .
- Nida, E 1954 : Customs and Cultures, Harper and Row Pub, New York .
- Robins, R, H, 1971: Malinowski, Firth, and the Context of Situation, in Edwin Ardener (ed) 1971 : Social Anthroplolgy and Language, London, PP. 33 – 46 .
- ------- 1973 : Aspects of Prosodic Analysis, in Jones, W,E and Laver, J (eds) 1973 : Phonetics in Linguistics, Longman, PP. 262 – 277 .
- Sapir, E, 1927 – 1972 : Speech as a Personality Trait, in Laver, J and Hutcheson, S (eds) 1972, PP. 71 – 81 .
- Trager, G, 1964: Paralanguage: A First Approximation, in Hymes, D 1964 (ed) Language in Culture and Socity, PP. 274 – 287 .

رقم الإيـداع ٦٨١٥